

# تضخم

كثرت في السنوات الأخيرة الحديث عن الغزو الثقافي للوطن العربي . وبدأ الحديث يتطور حتى وصل الى مستوى الندوات الوطنية والقومية . وسواء أوصف هذا الغزو بالامبريالى أو الصهيونى أو هما معا فإنه ظاهرة قديمة قد يصل تأثيرها الى درجة التمهيد لما حصل فى الوطن العربى قبل وصول التأثير الى درجة النتيجة أو النتائج التى أصبح يواجهها هذا الوطن .

وإذا كان الغزو الثقافى - بمفهومه العام - قد يتسع لمختلف مظاهر الحضارة المادية والروحية ، فإنه مما لا شك فيه أن ذلك الغزو يجد فى مجالات الادب والفكر الميدان الأكثر اتساعا وحتى تسترأ على عامة « العقول » فى الجانب الابداعى على الخصوص .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وظاهرة الاهتمام بالغزو الثقافى ينبغى النظر اليها من جانب التسلط وجانب التقليد على حد سواء . وإذا كان الجانب الاول قد يدعو الى التحفز حفاظا على المقومات فإن الجانب الثانى قد يراه البعض كسببا من مكاسب التطور والأخذ بأسباب التقدم بقطع النظر عما يكون له من تأثير معاكس على مقومات الشخصية القومية وعلى الأصالة ذاتها .

وإذا كان مضمون الانتاج الفكرى قابلا للمطارحات النقدية فإن ما حارم حول الشكل كان أكثر حدة بلغ حد الاتهام بالعمل على تهديم اللغة ومقاييسها وقواعدها بما ظهر من أشكال أدبية نثرية وشعرية ، قصصية ومسرحية وغير ذلك .

## يوم الصعود

نشأ « سعدون » فى بلده ولم ير فى حياته سماءها . لم يكن أعمى . ولم تصب عيناه بأذى . كان يرى الاشياء بوضوح .. يرى الشوارع والطرق . يرى المنازل والأكوخ . يرى الحقول والجبال . يرى الوجوه فيميز بين الواضح منها والغامض .. وبين الذى امتدت جذوره فى الارض ، والذى علق فى الفضاء بلا سبب .. يرى كل شئ إلا سماء بلده .. يرفع اليها رأسه فيرى غيوما تركض .. وتعتقل أشعة الشمس وتكاثف ..!

ويشتد شغفه برؤية السماء ؛ فيسعى بين قومه يتصفح وجوههم ، فيتعذب .. ويؤرقه العذاب فينحت منها سلما .. ويهم بالصعود فيشتد تكاثف الغيوم ، ويثقل حملها ، وتنخفض .. ثم تحط على السطوح .. تغمر الابواب والنوافذ .. تلتف بالمارين فى الشوارع .. تجردهم من ثيابهم .. تلتصق بأبدانهم وتمتص ما خلفته شمس قديمة فى جلودهم ..!

وينهار السلم ، فيهرع الى سطح بيته ، ويظل واقفا فوقه .. عيناه تبحثان عن حفنة من نور .. تنغرزان فى كتل كثيفة سوداء .. تجوسان خلالها .. تنفذان منها ، فيلمع من خلفها خيط من شعاع ، ويمتد اليه ؛ فيخفق قلبه ، ويهتف بأعلى صوته :

– اصعدوا الى السطوح .. اصعدوا .. لقد جاءكم يوم الصعود ..!

ويتكرر نداؤه ، ويبح صوته ، ولم يستجب له أحد من قومه ؛ فيزداد تعلقا بخيطه .. ويمسك به ، فيسرى فى دمه . ويغتسل بنوره ، فيدب النشاط فى جسمه ، ويتحرك .. ويذهب ويجىء فوق السطح .. ثم يشرف على الدرب فيرى شيوخا انحنى ظهورهم ، يمشون وأيديهم على عوراتهم .. ويرى نساء يلتحفن بشعورهن الطويلة السوداء ، يمشين الى الوراء واطفالهن على

ظهورهن ، فيصطدمن بالشيوخ ، فيسقط الاطفال ويصيحون .. ويصيح  
سعدون فوق السطح .. وترتعش الآذان لصياحه .. ويرفع شيخ رأسه :

- الى متى ستظل فوق السطح يا سعدون ؟ الى متى وأنت تتعلق بخيطك  
الموهوم ؟! ارفق بنفسك ! انزل ..! شارك الناس عريهم ..! انزل يا  
سعدون .. انزل ..!

ويدق سعدون السطح بقدمه ، ويصيح فى الشيخ :

- لم لا تصعد أنت أيها الشيخ ؟! اصعد ، وانظر ..! فل لابنك يصعد إن  
لم تقدر ، وسيرى هذا الحيط ..! يراه حقيقة لا وهما .. يراه يصارع الغيوم ،  
وينسج بنوره ثيابا عربية .. ألا يسرك أن تلبس جبة تونسية كجبتى ؟!  
وتضع على رأسك « شاشية » حمراء كشاشيتى ..!

فيتمتم الشيخ بصوت خافت :

- اخفض صوتك يا بنى ، انهم يسمعونك !

فيرتفع صوت سعدون :

- فليسمعوا ..! ينبغى أن يسمعوا صوتنا ..!

أطرق الشيخ ، وأبدل الخطو ، وهو يردد :

« لن يشفى سعدون من مرضه .. لن يشفى سعدون من مرضه .. »

وصوت سعدون يلاحقه :

- استر عورتك أيها الشيخ ، يكن لك صوت يسمع ..!

وترتفع الرؤوس اليه ، فتتكاثف الغيوم ، وتحجب عنه خيطه ؛ فتتكسر  
غضون وجهه ، وترتعش فرائصه ، وتتشبث يدها بجبته و « شاشيته »  
ويبكي .. فتبكي أمه تحت الجدار .. وتردد :

- رحماك يا ولدى .. لقد مزقت قلبى ..! هاهم أترابك يقبلون .. يدعونك  
لترافقهم .. انزل اليهم ورافقهم يا ولدى ..!

فينشغل عنها وعنهم بالبحث عن خيطه ، وصوت أحد أترابه يحثه :

- انزل ورافقنا يا سعدون ..! اليوم سنستتر عوراتنا . سنلبس ثيابا جديدة .. هيا بنا الى الثكنة ..! اننا مدعوون .. لا تنس أنك مدعو مثلنا ..! اليوم يوم تجنيد يا سعدون . سنصبح جنودا ، نحمل السلاح وندق الارض بأحذيتنا الثقيلة ..!

وسعدون فوق السطح يجرى .. الغيوم تجرى خلفه .. تلاحقه .. وهو يصيح .. ويصيح .. وأمه تحت الجدار تنتحب . وأترابه فى الدرب يقهقهون . وبجمع يده يضرب الهواء .. يضرب صدره .. يضرب الغيوم ، فتتكسر موجاته ، وينجلي ما اتصل بينها ..! فيرتعش الحيط ويمتد ، فتمتد قامته ، ويشرق وجهه :

- ها هو الحيط قد بدا .. اصعدوا ، وانظروا اليه ..!

فيرتفع صوت أحد أترابه :

- نحن نريد ثيابا جديدة ، وأنت تدعونا الى رؤية خيط ..! أى خيط هذا الذى تدعونا اليه ..!؟

- إنه الحيط الذى ينستر عوراتنا .. إنه لباسنا ..! اصعدوا .. اصعدوا لترؤا ما أرى ..!؟

وتبكي أمه تحت الجدار . ويتحسر أترابه بين مشفق ، وهازى . ويهمون بالانصراف عنه ، فيستوقفهم أحدهم . ويتسلق الجدار ، فيستقبله سعدون فوق السطح ، ويشير بيده الى السماء ..! :

- انظر .. انظر اليه ..!

فيتعلق نظره بالسماء .. وتجحظ عيناه .. ويظل واقفا ورفاقه فى الدرب يقهقهون ويسخرون .. والحيط يتفرع .. يمتد جسمه العارى ، فيفرق فى جبة كجبة سعدون ..!

ويطول انتظارهم وهو شاخص ببصره الى السماء .. فيصيح أحدهم :

- ماذا رأيت ؟



- رأيت ما رأى سعدون !  
وأطل عليهم ، ففغرت أفواههم ..! وهتف بعضهم :  
- ما هذا الذى نرى ..؟!  
نرى رفيقهم فوق السطح :  
- ترون الحق يا رفاق .. إنه حقنا هلموا إلينا .. فهذا يومنا ..!  
وسعدون فوق السطح يهلل ويكبر .. ويدعوهم :  
- اصعدوا الى السطوح ..! اتركوا البيوت والشوارع .. انه يوم الصعود..  
انه يوم الصعود ..!  
فيهرولون فى الدرب ورؤوسهم مرفوعة الى السطوح ، ويتسلق بعضهم  
الجدران ؛ فيظلم الكون ، وتمتد من خلال الظلام يد غليظة ، وتختطفهم  
وتختطف معهم سعدون .. وتلقى بهم فى ثكنة تتموج فوقها الالوان .. الازرق  
( « الغامق » ) يعانق الابيض الناصع .. ويغرقان فى احمرار قانىء كاحمرار  
« شاشية » سعدون ..!

\*\*\*  
ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhrit.com  
فى غرفة فى الثكنة ، قال الضابط الفرنسى للطبيب الحربى :

- لقد جئنا بالفارين .

- حسنا .. أدخلهم .

أدخلهم الضابط وفى مقدمتهم سعدون . وقال :

- ابدأ بهذا أولا .. انه لا يعرف الصمت !

- لا يعرف الصمت ؟!

واتجه اليه :

- مالك تهذى باستمرار ؟!

- لا أقوى على الصمت يا حضرة الطبيب !

- ولماذا ؟

- لأنهم عراة .

- عراة ! من هم العراة ؟!

- ألا تراهم يا حضرة الطبيب ؟  
وأشار الى رفاقه فتمتت شفاههم . وأمرهم الضابط بالصمت ، فاختنقت  
أصواتهم ..

ضحك الطبيب فى وجه سعدون قائلا :

- إننى أشك فى سلامة عقلك ..

وأمره بنزع ثيابه فأبى . وأراد الضابط أن يجبره على ذلك ، فنهاه الطبيب :

- لا تفعل !.. سأعرف كيف أفحصه .

وشرع يفحص لسانه ، وعينه .. ويجس جبهته :

- أتشعر بألم فى رأسك ؟

- دائما .

- ألم تصب بضربة شمس ؟

- شمس !.. لم أر شمسا فى حياتى !..

- وما هذا الذى فى عينيك إن لم يكن شمسا ؟

- لا .. لا يا حضرة الطبيب .. إنه شعاع .. شعاع ضئيل ظفرت به بعد

عناء طويل !..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- إنك لمجنون بهذا الشعاع !..

- مجنون فعلا .. ويشتد جنونى حينما تحجبه الغيوم عنى ؛ فأظلم ألهم

خلف لسانى كما ترانى !..

- اذن أنت مصاب بشعاع حاد ، ترك فى دماغك داء عضالا ، لا بد من

استئصاله حالا .. ينبغى أن تعزل من الآن ، والا أهلكك كل من اتصل بك !..

وجلس الى مكتبه ، وشرع يخط على ورقة .. ثم سلمها الى الضابط ،

وأمره :

- احمله حالا الى المستشفى !

\*\*\*

الكلايب مغروسة فى رأسه . والاضواء الكاشفة مسلطة على دماغه .

والضابط يذرع الغرفة جيئة وذهابا ..

قال الطبيب للضابط :

- لقد تسرب الشعاع الى المخيخ واختفى . لا سبيل للوصول اليه !..

- افتح رأسه من خلف !

- لا فائدة من ذلك .

- لا بد من استئصال ما برأسه !

- ودمه ؟

- دمه ؟

- لقد سرى فيه الشعاع !

- أبدل دمه !

- ودم الآخرين ؟!

- الآخرون ؟!

- ألا ترى المستشفى قد امتلأ بهم ؟ انهم مصابون بنفس المرض !..

- لقد انتشرت العدوى إذن !

- وأقفرت الشوارع .. كلهم فوق السطوح ، تحت الاشعة يرقصون ..

ألا ترى الشمس ؟!

صاح الضابط فى الطبيب :

- فليفنوا تحت حرها !.. اتركه يعود الى أهله .. اتركهم جميعا !..

وقبل أن يغادر المستشفى ، التوى لسانه ، واختنق صوته ؛ فهمس فى

أذن الطبيب :

- لا تتعب نفسك أيها الطبيب . اتركهم يعودون الى ديارهم ، فانى أراك

لا تستطيع أن تنتزع أشعة الشمس من جلودهم !!

عبد العزيز فاخت

## بوكرش

هو رجل تجاوز العقد الخامس من عمره لكن رغد العيش جعله يبدو كشاب  
يافع .. يمر من أمامك يقود سيارة فارهة حمراء اللون ويضع « السيفار » بين  
شفتيه فلا تدري أتضحك أم تبكى .. تضع بفكرك .. آه .. تضع .. أتحزن  
أم تفرح ؟...

آه .. آه .. تخرج من صدرك المهموم زفرات حرى كأنها ريح صرصر  
لوهبت وتعرف أن فى الأعماق آهات من نوع آخر .. هو فى حال وأنت فى  
حال .. بل الحياة ينعم وأنت شبه الموت .. تحاول أن تقلده حتى فى مشيته  
وهو يختال مترنحا كالطاووس فتعجز وتسقط فى مواجهة قدميك الحافيتين  
من رماذ نسيته ..

قال « البشير همامه » وهو بهلول القرية يجب أزقتها عاريا إلا من  
خرقه بالية تكاد لا تستر عورته - والكل يشهد - بأنه الحكيم فيما يتكلم :  
أكاد أقسم بأن من ولد ليلة البارحة لا يقدر أن يحسب ما يملك « سى  
بوكرش » ؟!...

وتضحك أنت « ضحكة حقرة » تستلها غصبا من داخلك وتتساءل كالمجنون  
مع نفسك : ولم لا يحسب من هو فى بطن أمه جنينا ما عند « بوكرش »  
من كذا .. وكذا .. وكذا .. و .. و .. و ؟!....

وتراجع مهزوما لانك مهما عرفت فما زالت خافية عنك أشياء .. وأشياء ..  
ثم أو ليس « سى بوكرش » شخصية غامضة الملامح فى نظرك ؟!...  
- « عمار .. أشبيك تخم ؟ ... »

ياتيك صوت « فاطمة » زوجتك شجيا .. تحتار .. تفكر .. ماذا هول ؟  
تلقى بنظرة حائرة على وجهها الحنون .. مالك أنت و « بوكرش » ؟! ما الذى



يجمعك به .. ما الذى يفتن بكما الى بعض ؟ .. كل شىء يبعدك عنه كل البعد ..  
الكافحات تفصل بينكما أيها الفقير .. مالك مع « سى بوكرش » صاحب الجاه  
والمال والجمال ...؟ الاسئلة تجول بمخيلتك .. كالمطارق تدق بعنف ..  
والصمت هو الصمت يخيم كالكابوس ...

- « ماتخممش .. الخدمه يجيبها ربى !... »

كلمات من « فاطمة » تنزل بردا وسلاما على جرحك الدامى .. تتفرق دموعك  
فتشير شجونك .. الشغل .. آه .. هو الحيط الوحيد الذى يربطك مع « سى  
بوكرش » وتعود بك الذاكرة الى أول يوم دخلت فيه مكتبه الفخم وكنت  
انتظرت طويلا لمقابلته .. كلما جئت يعترضك الحاجب « أرجع غدوه » ...

بدأت تحس بالنقمة على هذا الواقف فى وجهك .. يصدك .. كأنه شيطان  
بالمرصاد بعث ليحرمك حقك فى الحياة .. ويشتد بك الغضب فتلعن ساخطا  
مهنة « الشاوش » .. محرك شعور آخر فى مجاهل ذاتك .. ما ذنب هذا  
المسكين ؟ ... لماذا تفرغ فى شخصه البسيط ثورة جياشة تكاد تخنق صدرك  
وتحطم ضلوعك ...؟ .. أو لا يكون هو الآخر ضحية ؟! .. وأنت تعرف مليا كم  
فى هذا الزمن « المقلوب » من ضحايا ...! <http://Archive.is>

- « توه نشوفو ! »

هكذا قال « سى بوكرش » وأنت تحكى تفاصيل أحداثك .. يمزقك الفقر  
شظايا .. تعذبك البطالة .. تحفر فى وجودك أخايد البؤس والتعاسة .. فى  
كل لحظة تحس بجرحك يتعمق .. تتألم .. من أين يأكل أطفالك الصغار ؟!  
من أين ؟! .. هم قانعون فى « الحربه » ينتظرون ما يسد رمقهم .. الجوع تنين  
حاقد يكشر عن أنيابه الملعونة .. لا .. لا .. لا .. ما زال لحمهم طريا !

تعض بشفتيك على لسانك .. تبتلع مرارة الندم .. لماذا تزوجت فى الزمن  
الصعب ؟! ...

تشعل سيجارة رخيصة الثمن .. تدخن فى قلق .. تنتشر فى الفضاء  
دوائر .. تتشكل .. تتباعد .. تظل تلاحقها بنظراتك اليائسة كمن يجرى

خلف السراب .. تصفحك الحسرة .. آه .. آه .. مات والدك فى الداموس  
مهروسا تحت عربات المشينه .. آه .. آه .. تتقرز .. تشعر برغبة عميقة فى  
الغشيان .. تزعجك الذكرى .. كانت الصدمة .. فقدت عقلك وأنت تغرق فى  
لوعة البكاء المر .. تشتت شمل العائلة .. كبرت أظافر المأساة .. كان  
الحرمان .. وكان اليتيم والعذاب ...

سنوات من عمرك قضيتها كالمسجون بين قضبان مستشفى « منوبه »  
للامراض العقلية .. يتهاطل دمك غزيرا كلما تتذكر ما فعلته ظروف الدهر  
الحادع ... والكل فى قرينك يشير اليك بالاصبع .. كأنهم يتهايمسون عليك  
أنت .. تنعزل عنهم .. تكتشفهم أكثر قربا منك فى وحدتك وغربتك  
وضياعك ...

إنهم يقولون : « عمار ضبع .. عمار ساكن منوبه »

آه .. الفاجعة كاقسى ما تكون ..

وشريط الذكريات يمر بسرعة فى رأسك الذى غزاه الشيب .. وأنت  
فى يم المصيبة غارق بلغك فصلك نهائيا عن التعليم .. يمتد بك الاسى شوطا  
آخر .. يتعفن جرح مأساتك وفى صدرك تثبت شجيرات الكآبة والقلق ..  
وتكبر .. تكبر .. تتعاقب الاغصان . تلتقى الفروع بالفروع .. وتثمر بداية  
ثورة طالما حاولت أن تخفيها .. لكن غصبا تخرج للوجود .. وأنت فى الوجود  
لا شئ .. بالتمرد يا « عمار » تخلق أشياء .. تخلق وجودك كما تشتهى أنت  
لا كما يسطره الآخرون ...

- « كأس تاي »

تشربه على نخب عزمك الجديد فى الدنيا .. الثورة .. تلتفت الى « فاطمه »  
رفيقة الدرب الطويل .. تتأمل وجهها ملائكيا فى حزن .. أكل الفقر نضارتها  
وامتصت الهموم شبابها وقتلت حيويتها ... تحدثها بلهجة عربية :

- « فاطمة أسمعنى .. مليت ! »

تقاطعك وكأنها تخفف من لوعتك :

« الصبر ها عمار .. مفتاح الفرج »

تقول وآثار الغضب على ملامحك :

« فاطمه .. إما نا وإلا » بوكرش « ... »

الدهشة فى أسرع من لحظة تصيبها .. تلون قسماتها بالمجهول .. تهرب منك .. والصمت هو الصمت .. ترتدى على صدرك التعب .. تتعاقبان .. تحسها تمر بيديها فى حنو على الشعر النابت هناك ..

« عمار المجهول .. اليوم سيد الرجال !... »

ثم تسمع زغرودة تنطلق فى الافق مدوية كأنها تبشر بطلوع الفجر .. ستثور يا عمار .. وستبزع الشمس من خلف الغيوم ...

\*\*\*

أصبح « سى بوكرش » حديث الجالس فى هذه القرية المغبرة الشوارع .. كيف لا يكون ذلك ؟ .. وحتى الحانة الوحيدة التى أجمع الاهالى على تسميتها بـ « قهوة الكلاب » هى من ثروته الطائلة وقد اشتدت حولها حمى « القيل والقال » واختلف الكل فى كيفية تكوينها ...

قال الاول :

« يخامرني الشك فى ثروة « سى بوكرش » ... »

قال آخر - وكأنه وقف مدافعا من صاحبها - :

« لم يجمعها الا بعد تعب وعرق وكفاح »

قال الثالث وهو يتساءل كالحائر فى أمره :

« ولماذا لم نثر نحن العمال ؟ ... »

« ولما لا نثر نحن العمال ؟ .. »

« قسمتنا أن نكدح ونبقى فقراء ... »

وعقب الخامس فى نقمة :

« نتعب ونشقى ليعيش غيرنا فى سعادة »

قال الاول وكأنه يشعل النار تحت الرماد :

« أولا تكون » الرشوة « هى أصل ثروة » سى بوكروش « ... »

بينما سكت الجميع أضاف هو فى قمة الغضب :

« ومن يدري ؟!... »

★ ★ ★

ذات صباح مجهول من يوم غائم وجدت جثة ملقاة على قارعة الطريق هامة  
وقد غطى الدم وجه صاحبها وقد تمزقت ثيابه وتعفن جسده .. وتدلى بطنه الى  
الامام .. بينما راحت دوريات رجال الامن تجوب القرية شارعاً شارعاً وتفتح  
المنازل بيتاً بيتاً وكان كابوساً خيماً يخنق الانفاس وعم الصمت القاسى ...

ويستمر البحث عن مجرم خطير تشكل بين السكان المفروفين بطيبة  
قلوبهم رغم ضنك معيشتهم ...  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وشاع عند بداية الليل خبر يقول :

شوهد « عمار المهبول » فى يده شئ مشوه وهو يصيح فى جنون :

« مات بوكروش ... وشمسنا طالعة ...؟... »

بلقاسم برهوى



## المريض رقم 7

وقف أمامه في الصف رجل ضعيف البنية ، ضيق العينين غائرهما ، مصفر الوجه ، ومن نظراته بدا فتور عزمته ويأسه من الشفاء ، كان يتقدم بخطى حائرة مرتعشة . لم يبق أمامه في الصف الا اثنان احتوى الطبيب بعينيه .. ابتسم بكل أعضائه . اعترته فرحة ، وسرى النشاط في جسمه كما تسرى اللذة في مقرر يتدفأ بالنار على بعد ميلين ، وانتفض من فرحته ، وعادته حالته ، فتقطب وجهه ، وذبل بريق عينيه ، وتعرق جبهته ، وتكور جسمه ، وانطوى على نفسه يفكر ... يتساءل عن مصيره عن شفائه ، لم يبق الا واحد يفصله عن الحكيم : هذا الذي انتصب فوق كرسي أنيق ، وقد وضع على عينيه نظارة وضع اطارها من ذهب وبدت حدقاته من وراء الزجاج حادة حادة ... كم هي مخيفة ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ووصل المريض رقم ( 7 ) الى الجلوس فوق كرسي خشبي صغير ، فتأفف الطبيب منه . كانت ثيابه متسخة ، فانطلقت منه روائح كريهة ... لم يطق الطبيب منه ذلك ، والتفت للكاتبة :

— اعطه ... اقراص سبعة ... واحدة في اليوم ...

وأوما الطبيب اليه بالقيام ... وسلمته الكاتبة ورقة صغيرة الى الصيدلية.. سأل عن رقمها .. فسمع كلمة مقتضبة ظن أنها سبعة ، وتاه في منحرجات المستشفى . وسأل امرأة شابة عن الصيدلية ، فقادتة اليها ، ووقفت تنتظره ومدت اليه العاملة في الصيدلية قرطاسا أبيض صغيرا ، فأخذه بقوة .. يظن أنه هشم الأقراص .. تساءلت المرأة في سرها عن مرضه وفي لمحة البصر عندما أعطى هو بظهره الى الصيدلية قالت في نفسها .

— ثياب نظيفة ودوش وشفاء .

واذا به من خيار الرجال وابتسمت ، وأقبلت عليه كلاعب كرة نابه هجم على منافسه وسألته .

– أنت تزور هذا المستشفى لأول مرة .. أليس كذلك ؟

– نعم .. لقد جئت من الريف .. ارسلنى والدى الى عائلة .. لم أعثر لها عن أثر .

هو اذن ليس من المدينة .. هو لا يعرف الزيف .. لا يعرف النفاق .. هو يجهل القانون وسمعت منه همسة ، فهمتها من نظراته .

« هو يبحث عن مأوى يستريح فيه » .

– اطمئن .. لا تقلق نفسك .. ستذهب معى الى البيت

وأوقفت سيارة أجرة ، حملتهما الى البيت .

ودخل البيت فادرك أنها تعيش وحدها .. وقادته الى غرفة الحمام فاغتسل ولبس ثيابا نظيفة ثم تناول قليلا من الطعام ، وأحس بالليل الى النوم فتركته وخرجت لشؤونها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومن الغد توجهوا الى عيادة الدكتور (000) سمعت من صديقاتها أنه حكيم نطاسى .. ودلفا معا الى مقر عيادته الكائن فى شارع (000) فوجدت قاعة الانتظار تموج بالمرضى ... بالآئين ... بالوجوه الكالحة .. بالضباب .. بالفراغ ... باليأس .. بالوحدة .

وجلسا ينتظران دورهما ... كان الطبيب لم يأت بعد من المستشفى .. قرأت ورقة فى باب الدخول تبدأ العيادة فى الحادية عشرة ... طال انتظارهما ولم يأت الطبيب بعد ... ألفت نظرة على الحاضرين ففهمت أنها ستتدخل به بعد سبعة أشخاص ، وتسمرت عيناها فى مدخل مكتب الحكيم ، وفوق الباب بالضبط علقت ورقة فى اطار من زجاج .. قرأتها بسرعة : هذا الطبيب متخرج من جامعة بوردو .. ( وما هى جامعة بوردو هذه ؟ ومن يعرفها من المرضى ... أنس أو جان ) ... هى كمعلقة الحلاقة بية والحلاق الهادى لماذا لا يحتفظ بهذه الشهادة لنفسه ؟ ما الداعى الى وضعها هناك .. عندما كنت طفلة صغيرة ...

كنت أضع معلقات الشرف في اطار واعلقها فوق سريري .. كان أبى يشجعني على ذلك ... وعندما كبرت جمعت هذه المعلقات ووضعتها في كراس خاص ) .

ومدت يدها الى مجلة : « الاكسبريس » وأخذت تتصفحها .. وركزت اهتمامها على موضوع تريد أن تعرف عنه كل شيء : « انتصار اسرائيل ضمان للسلم في الشرق الاوسط » ... وكانت عينها تبتعدان عن السطور لحظة لتريا صور الاسرى العرب وهم على بطونهم في ملابس داخلية ... وصورا تبين فظاعة الحرب وهو لها .

اما المريض رقم ( 7 ) فقد انشغل بالتفكير في أمسه بالطبيب الذي نظر اليه وأعطاه الأقراص السبعة .. بالأقراص السبعة الخضراء .. بالخضراء .. بالأقراص .. بالصف .. بالبيت .. المرأة الشابة ... بالشابة المرأة .. بالطبيب الذي لا يعطى للمرضى الا الأقراص « الا الحرايش » .. هو قرص .. هو : حربوشة : الطبيب : الحربوشة : الطبيب القرص .

ARCHIVE

وعزم على أن يذيب الحربوشة .. القرص في الماء

وعاد الى يومه ... الى لحظته تلك ... على أنين امرأة .. قيل انها تشكو الزائدة الدودية .. فنظر الى مرافقته .. فوجدها تتابع المقال الزيف .. تعرف الاكذوبة تلو الاخرى .. اسرائيل دولة وجدت بين برابرة .. حولت الصحارى القاحلة الى جنان .. وتذكرت مذابح : ديرياسين : وكفر قاسم : فرمت بالمجلة رمت بالاكذوبة .. بالحقيقة الاكذوبة .

قامت الى الممرض ... سألته عن الطبيب .. لقد تأخر الطبيب .. لقد تلفن منذ حين بأنه سيأتى بعد عشر دقائق ... سيأتى الطبيب المتخرج من جامعة بوردو بملاحظة حسن جدا بعد حين ... وعادت الى مقعدها بجوار المريض رقم ( 7 ) ... فوجدته يحلم ... عيناه تحلمان بالعودة الى القرية الى الكروم ... الى العسافير .. الى البشر والجمال .. الى أسرته ، فقالت له ملاطفة .

— ستعود الى القرية .. لا تيأس .. ستشفى بعد سبعة ايام .

وابتسم ... وضحك ... وبرقت عيناه ... ولمعت عيناه ... وفرح ثم  
عبس فقمطر ... ثم سوى شعره وضحك .. واستوى فى جلسته وتربع .

وسمعت وسمع ... لقد جاء الطبيب .. جاء الحكيم ... صاحب الشهادة  
المعلقة فوق باب مكتبه بالضبط ... وانتظرت دورها ودوره ... أخذت تلاطفه  
من جديد .. حدثنى عن أسرتك .. عن قريرتك .. عن الطبيعة البكر .

- أمى وأبى وأختى سالمة .. وبيتنا فى جوار حديقتنا ... وعلى مقربة منا  
جارنا أحمد ... جارنا صاحب عشرة طيبة .

- جاركم أحمد ؟

- هو وولده وزوجته وحديقته وناقته يعيشون فى طمانينة ... فى سعادة  
- وانت تعيش أيضا فى سعادة .

- نعم ... أنا ... تقصدين أنا ... أنا مريض ... الأقراص لا تداوى  
مثلى أنا .. أمى تقول لى دائما : ستأتىك علة .. عندما تبلغ العشرين ، هكذا :  
قرأ لى المؤدب سعيدان : برجك :

ودواؤها لا يكون الا فى سفر وشراء حمامة وضحكت .. وابتسمت ..  
وقالت له .

- والأقراص .. والحرايش .

فرد وهو يحلم :

- لعلها تداوى .. ربما ... ربما .

وجاء دوره .. فقامت معه .. وحين دخلا من الباب الذى وضع فوقه شهادة  
تخرج الدكتور من جامعة بوردو ... وقف المريض رقم ( 7 ) مشدوها :

- الهى .. هذا الطبيب .. انه طبيب الأمس .. طبيب الأقراص .



كان مكتبه نصف مظلم ومع ذلك تبينه .. كان الدكتور يحصى الأوراق المالية التي بين يديه .. حفنة من ذهب .. ووضع الرزمة في الخزانة .. ثم رفع رأسه يتفحص القادم .. لم يتقدم نحوه خطوة طلب من المرأة الشاب المال .. نظر الى الرجل الشاب ... نظر الى المرأة الشاب .

الرجل الشاب لا يملك هذا المقدار ...

المرأة الشاب لا تملك هذا المقدار ...

الدكتور سال لعابه .

أدركت المرأة الشاب أن السمسة قد تكون حتى في المرض .

الرجل الشاب أدرك أن الأقراص قد حان وقتها .. المرأة الشاب علمت أن ما تسمعه من صديقاتها بان الأطباء محلفون غير صحيح .

ثم قررت الخروج مع الرجل الشاب وتركت الطبيب واقفا .. ثم رجع الى الخزانة يحصى الرزمة من جديد وعندما هبطا الدرج وقذفهما الباب الى الشارع الطويل ، التفتت لتقرأ : الاستاذ خبير في الشؤون العقارية . الدكتور طبيب في الأمراض العامة ... خبير في الشؤون العقارية .

وأخذا يسيران في صمت .

– حان وقت الأقراص .. لنضعها في الكأس لتذوب الأقراص الدكتور قال ذلك .

وطلب من المرأة الشاب كأسا وماء ، وفهمت مراده فضحكت وعندما وضع الأقراص السبعة في الكأس ، كانت المرأة الشاب تحزم حقائبها ، وتستعد للسفر .

ثم خرج الرجل الشاب المريض رقم ( 7 ) سابقا من غرفته وتوجه الى غرفة المرأة الشاب يريد توديعها فوجدها تستعد للسفر .

– حتى أنت مسافرة ؟

– نعم كلانا على سفر .

ومد يده مودعا ، فلم تمد يدها بل نظرت اليه وقالت :

– نحن الاثنان على سفر فكيف تودعنى .

وخرجا من البيت ، وسلمت المفتاح – وهى فى طريقها الى محطة القطار –  
الى مالكةا ، فلم يسأل عن السبب ما دام قد طلب منه أحدهم كراءها بأكثر من  
كرائها السابق بدينار واحد .

تساءل الرجل الشاب عن سفرها ... فلم يجد جوابا .

وهبت نسمة رقيقة باردة فغمرت كيانه ، فابتسم ابتسامة ربيعية وسرت  
الابتسامة فى كيانه بأجمعه ، ومر أمام مقهى فوقف أراد أن ...

ووصلا الى المحطة ... اقتطعت تذكرتين .

تساءل الرجل الشاب من جديده عن سفرها فلم يجد جوابا .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وشخر القطار وتحركت عرباته ... وانساب يتمايل فى كبرياء وفخر  
وجلسا وجها لوجه .. تذكر هو أنه قضى سبعة أيام فى المدينة نسي أن  
يسألها عن عنايتها به .. ولماذا كل هذا التلطف .. ولماذا كان هو بالضبط ..  
نظر اليها فوجدها تبتسم ... مدت يدها اليه .. أحسس بدفء .. ضغط  
بديها ... وهبط رجل كان جالسا بجانبه ... قامت وجلست الى جانبه ...  
والقطار يصفر ويرعد كالمجنون ... تذكر الأقراص والطبيب ... تذكر أمه  
وحكاية السفر والحمامة ... أمه الآن تنتظره ... أمه تعرف الغاية من  
سفره ... والده يجهل كل شئ .

سأله المرأة الشابة عن أمنيته فى حياته فضغط يديها ضغطة قوية وزغردت  
أمه بعودة ابنها فرحا .

على العريس

## مدينة التماثيل

- لم لا يتحرك الناس فى هذه المدينة ؟
- لست أدرى !..
- وأنت أيضا لا تدرى ؟..
- اننى حائر !..
- لم ترتعش شفتاك ؟
- أهم بأن أقول شيئا فلا أستطيع ...
- كيف جاز لنا أن ندخل مدينة ناسها ميتون ؟
- انهم ليسوا بميتين !..
- ألا تراهم لا يتحركون ؟..
- رأيت ...
- كل واقف فى مكانه ... الباعة فى الاسواق ... والمارة فى الشوارع ... و ...
- يا له من صمت مخيف ...
- دعنى أتكلم !..
- ان لجمود المدينة سرا لا بد من اكتشافه ...
- مجنون !..
- أنت تتهم نفسك أيضا !..
- كيف تسمح لنفسك بالبحث عن السر الذى جعل من الناس تماثيل لا تتحرك ...
- إننا بين الحقيقة والوهم ...
- اعرف أنك دائما واهم ...
- أتهزأ من قولى ؟
- أعلق لا غير ...

- ما أفرغ ما تقول !..
- أنا لا أقبل أن يصبح الإنسان تمثالا !..
- إن فضولك هذا سيجعل منك تمثالا أنت أيضا ...
- اسمع ...
- ماذا ؟
- صوت مخيف ينبعث من جوانب المدينة !..
- لم أسمع شيئا ...
- أغلب ظني أنه صوت نذير ...
- إنه الوهم والخوف ...
- الحق . إن قلبي لا يحدثنى خيرا ..
- أعرف أن من عادتك الجبن ...
- دعنا من الكلام وهيا نبحث عن السر !..
- وما يهمنى من هذا !..
- أنت الجبان ولست أنا ...
- سأنجو بجلدى وافعل . أنت ما شئت <http://Archive>
- انظر !..
- أرايت شيئا ؟
- بعض نفريسيرون فى شوارع خالية ...
- أهل المدينة ليسوا كلهم جامدين ...
- يظهر أن هناك استثناء ...
- دعنا نسألهم عن السبب ...
- هيا نتقدم ...
- اسمع ... اسمع ...
- يا ... يا ...
- هم ينظرون إلينا ويلتفتون دون كلام ..



- ها هو واحد منهم يتجه نحونا ...
- أهلا وسهلا ...
- مالك !! حزين ؟
- أحزنتنى حالة المدينة ...
- هل ألم بكم مكروه ...
- ( صمت ) ...
- اننا نخشى من الجمود !...
- تخشون من الجمود ؟
- نعم ...
- عليكم بالخضوع لقانون المدينة فستسلمون ...
- نستسلم ...
- بالتأكيد ...
- ما هى نصوص القانون ؟
- أهمها أن تكونوا سليمين من داء الثورة ...
- هذا عجيب ! <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- وثانيا : أن تلتزموا الاجابة « بنعم » دائما ...
- ولكن لى حق الرفض ...
- إنهم يرسلون عليك قوة تجعل منك تمثالا ...
- لم نخبرنا بخير ...
- نصيحة لا غير ...
- ما هذه الحصون العالية ؟
- هى سجون الورق ...
- سجون الورق ؟
- فيها سجن الملك كل من تمرد على قانون المدينة ...
- هيا ننجو بأنفسنا ...

- الزم الصمت ودعك من الجبن ...
- قلت لك هيا لنهرب ...
- علينا أن نواجه الواقع بشجاعة ...
- تريد أن تورطنا ...
- يالك من جبان !..
- الجبن خير من الهزيمة ...
- أنت لم تفكر فى الانتصار أبدا
- أسكت الرجل الذى جاءنا يتسمع لحديثنا ...
- قلت لك : أنت من جبنك لم تفكر فى الانتصار أبدا ...
- كيف تريدنى أن أكون من هؤلاء ؟..
- يا خيبتى فيك !..
- نحن قوم لا نثور حتى على أنفسنا ...
- ما هذا الصوت الغليظ المتردد فى أرجاء المدينة ...
- انظر الى ذلك الموكب ...
- هيا نذهب إليه ...
- دعنا نأكل خبزنا ...
- تخشى الجوع باستمرار ؟
- نعم ...
- أنا قد مللت الحبز بالجبن ...
- أغمس خبزك فى شئ آخر ...
- أنا راض بما أنا فيه ...
- ألا تقتنع بما أوصيتك دائما ؟؟
- اذهب ودعنى لشأنى ...
- ستندم ...

★ ★ ★

- سأل أحد الغرباء ببراءة :
- من سلسل هؤلاء ؟
  - فانقض عليه السجانون كالكلاب ورموا به فى أقرب زنزانة فهمس له
  - رجل مخلص :
  - كل شئ معكوس فى هذه المدينة ...

سأل الغريب فى حيرة :

- كيف أعرف الحقيقة ؟

أجابه الرجل المخلص :

- لا مجال هنا للحقيقة ...

فأردف الغريب :

- لا أستطيع العيش والطلاسم تحفنى ...

أضاف الرجل المخلص :

- احذر ... إنك فى خطر !!

سأله الغريب فى لاجاة :

- كيف ؟

قال الرجل المخلص وهو ينظر حواليه خشية الاعوان المتسللين :

- حاول أن تفهم فقط ، إياك والسؤال .. إن السؤال ذنب فى هذه المدينة،

وطلب الحق ذنب ، والرجولة ذنب ، والفكر الناقد ذنب ...

سأل الغريب من جديد :

- ما هى الحسنة عندكم :

أجابه الرجل المخلص :

- أن تسير مع القطيع فى صمت ...

\*\*\*

- السجون ممثلة !!

- على الناس أن يغيروا ما بواقعهم ...

- أنت واهم !!

- أبدا ...

- سمعت بخبر الطفل الذى شنق ؟

- طفل قد شنق ؟

- نعم ... قتلوا بالامس طفلا اسمه : الحق ...

- وما ذنب الاطفال ؟

- أرادوا به التنكيل لا غير ...

- يا لهم من جناة !!

- لنكسر سجون الورق ...

– نحن مسجونون فى ورق مقوى ...

\* \* \*

حطم الرجان أول سجن فارتاع السجناء وظنوا أنهم جنود الملك جاؤوا  
لسياقة بضهم الى ساحة الاعدام . خاطبهم واحد من القادمين :  
– جئنا لنخلصكم مما أنتم فيه ، فهيا معنا لنحرق حيطان الورق المقوى...  
وسار الكل وفتحوا أبواب كل السجون ... ولم يستفق العسس لتعبهم  
بالنهار . وتكون جيش كبير من السجناء . واستفاق عند ذاك الحرس على ضوء  
اللهب المتصاعد واستفاق أتباع الملك ونشبت معركة بين السجناء والحراس ،  
وعمت الضوضاء المدينة ، وهلل الناس لما رأوا طغاة المدينة يساقون فى ذل  
للاستنطاق ... ولم يبد الفجر الا والمدينة خاضعة للجماهير ...

قال معلق أول :

– الزمن لا يستقر ...

أجاب معلق ثان :

– كذلك تدول الدول ...

قال معلق ثالث :

– الثورة تطهر النفوس ...

قال رابع وهو ينظر الى بعيد ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– الظلم لا يدوم ..!

أضاف خامس :

– كل شئ بيد الانسان ...

تحدث سادس بحماس فقال :

– علينا أن نكون الثوار والاحرار اذا أردنا أن نخلص العالم من الشر ...

أجابه المعلق الاول وهو يفرك يديه :

– لا شئ كالحياة ، والحياة فى الفعل ...

أردف أحد الصحاب :

– لقد مات عهد الكبرياء ...

وعلق صاحب آخر على قوله :

– وانقضى عهد التماثيل ...

نور الدين بن بلاقسم

هبيرة فى II جويلية 1973



## رجل

... وفى صبيحة اليوم التالى دخل عبد العزيز الى مكتبى يحمل بين يديه دفاتر جديدة بها عمل حقيقى لا كما تعود .. وكان يبدو فى هذه المرة قليل اللهفة ، متثاقل الخطى ، فاتر النظرات كأنه وصل نهاية شوط طويل متعب جراه وألهته فترة زمانية لها حسابها ، وعندما وصل لم يفرح ولم يحزن . وذلك عكس ما أصبحت عليه أنا ، إذ كنت أشعر بأننى أعيش دنيا بلا طعم ، ولا لون .. دنيا ليس لها حلاوة ولا مرارة كأنها الموت لولا نسيمات كانت تهب بأمل سريع فتذكرنى بأننى أعيش ، أو تمنينى بأننى سوف أعيش .

قلت فى نفسى : إذن هذه هى الحياة التى آمل .. طيلة خمس وعشرين سنة مرت ... مرت كما شاءت لها الظروف أن تمر ... لا سواد ولا اخضرار ولا وضوح سوى ألوان باهتة . وسحب داكنة ، وليل ونهار سواء .. أصبح لا فرق عندى بين النور والظلام . اعتاد جلدى الا يحس بردا ، ولا حرا .. لم أعرف طعم الفرح أو الترح إذ كانت كل هذه الاشياء تدور حولي ولم أشعر بها . لم أشعر بها ولو يوما واحدا ولم أحاول أن امزجها فى كيانى .

شعرت فجأة أن كابوس الاعوام الذى أثقلنى وكبل خطاى قد أزيح دفعة واحدة فشعرت كأنى أكاد أطيح ، وكأننى إنسان مكون من هواء مضغوط لست أعلم كيف صنع .. لم أحس بالاثقال التى عرقلتنى الا عندما غادرتنى فجأة ... أحسست بأننى كنت أحمل فى جوفى ملايين الاطنان تشدنى الى الارض ، بل الى جوف الارض بقوة لا نظير لها ليست لى قدرة على مقاومتها . وكنت كلما تذكرت أسأل نفسى : هل كل هذه الجاذبية للارض أما أنا المثقلة .. ولماذا وكيف ؟! والى متى ؟! وذلك لأننى أبدو كأننى أزحف زحفا .. ولكن عندما طيرنى الفرح قأكدت بأنى قد ولدت حية .

فلماذا تحسب علينا سنون لم نحيا ؟!

كشع هو ليجاملنى .. وسرعان ما ارتد وجهه الى ما كان عليه منذ الصباح ..  
وجه لا لون له .. كنت أعرفه أسمر بحمرة ، جنوبى اللون ، مغرى النظرات .

وها هو الآن أمامى رمادى الوجه مغبر ترهقه أحزان لا أدريها .. حتى  
ملامحه الحلوة لم تعد كذلك فأصبح كتمثال أثرى غليظ الجثة لا ملامح فيه ولا  
معالم .

وكنت بيضاء باهتة كبيرة الملامح ، داكنة الشعر والعينين فأصبح كل ما  
فى جميلا .. مثيرا .. رقيقا .. بديع التكوين كأن الفنان الذى صنعنى أول  
مرة تذكرنى وأعاد لمسى فمرر يده السحرية على وجملنى بلون ملائكى  
شفاف .. لقد رأيت ذلك بعينى فى المرأة قبل أن أخرج الى عملى .. وقد رآنى  
كل من مرتت به أو مر بى هاشا باشا . وكاننى هبطت توا من السماء لشدة  
سرور الناس بى .. وتعجلت الخطى الى مكتبى وأسهرت الى المرأة . وأردت  
تجميل وجهى كعادتى . ولكننى عدلت خوفا من أن أشوهه . وتذكرت قول  
صديقتى التى عرفت بين أفراد العائلة بسلاطة لسانها حين أخرجتنى بعد  
عودتى البارحة متأخرة عن موعدى بساعة كاملة ، أعلمتنى بأننى أحلى وأرق ،  
والطف وأنعم من ذى قبل ، وقبلتنى بخبث ، وتناولت على بأننى أبدو كأن  
رجلا محبا قبلنى وذوبنى ثم تركنى أنساب اليهم كفرع من أنهار الجنة .

دخلت البيت أتعثر ، والحجل يصبغ وجهى بلون عصير الرمان وأحس  
بوهج فوق وجنتى وكأنه الجمر .

أما شعورى فلن أصفه لانى لن أعرفه ، ولن أصل للتعبير الصحيح عنه  
ولو كتبت صحائف تسكر آلاف البشر .

كل الذى أقوله هو أننى قررت ألا أصدده أو أرفض له طلبا خاصة فى  
تحديد موعد الزفاف الذى ينتظره منذ أشهر . وقد ألح على فيه المرات  
العديدة حتى أضحى كل أمله ، وكل همه ، وحل عمله فى الإدارة ومعنى بالذات  
من أجل ذلك اليوم وأمسيته أنا متأكدة كل التاكيد . وعرفت ذلك من تصرفاته  
نحوى منذ زمن . عرفت بأنه يحببنى ويعبدنى ويحن الى كلما غبت فجأة عن  
ناظره . ويحرص على أن يتبعنى كظلى ، ويجد كل الطرق والوسائل التى

توصله الي فى عقر دارنا فيتجراً ويسأل عني بلطافة أو صفاقة أو عفرتة وشيطنة . وأذكر ذات مرة - وكان ذلك منذ ستة أشهر - تعذرت عليه رؤياي فتقدم وخطبني ، وأرسل أمه وأخوته ، وقدم هدية . وكدت أرفضه لولا أنني تيقنت بأنه يحبني . وعرفت ذلك وأسلمت به .

كنت أعرف أنه يفرح للقائي ، ويحزن لغيابي .. كان يكرر على مسامعي بأنه يكره الليل لأنه يفصله عني . ويغار من زملائي وزميلاتي حتى لمجرد التحدث اليهم .. يغار من رئيسنا المباشر عندما يناديني لعمل ما .. يغار من أهلي لاننى آوى اليهم .. يغار من البيت الذى نشأت فيه وكبرت وترعرعت .. يغار من الجيران حين أصابهم وأماسيهم ... يغار من الحافلة التى أمتطيها ومن ركابها ومن سائقها ومن قاطع التذاكر . ويعلل ذلك بأنه يحاول أن يقرب أصنعه من أصابعي كلما مددت له التذكرة .. يغار من الشارع الذى أمر به ، ومن المارة .. يغار حتى من ملابسى ومن حقيبة يدي لاننى أتأبطها بعناية فى أغلب الاحيان .. يغار من شعري عندما ينساب خصالا فوق صدرى وكان يعلمنى بعصبية أن هذا الشعر الذى أغاظه لا يتحمل أن يراه غير مشدود الى أعلى بمشد قوى لا يستطيع الافلات منه كان يصور له خياله ذلك الشعر بأنه ذراعان قويان لشاب أسود يتدفق حوبة بحيط صدرى بأشتهاء وأبدو له أننى مستسامة لذلك الشاب الاسود .

كأن يصحبني كل أسبوع على الاقل الى محلات بيع الاثاث . ويبدأ فى التخيل بأن هذا الفراش سيضمنا فى أحلى ليالى العمر .. وهذه المقاعد .. وهذه المائدة سنأكل عليها أشهى الاطعمة من أشهى أصابع .. وهذا المطبخ وهذه الأواني ستستعملها أجمل عروس .. وهذه الاغطية ستنعم معنا بالدفء .. وهذه الزرابى أنها ستزيد البيت زينة ومفخرة .

من أجل هذا وأكثر قررت ألا أصده . وزادت إشراقة وجهي وفتحت له باب التحدث لأول مرة عاقدة الامل على أن أزف اليه فى أقرب ظرف يسمح .. شعرت أنه يرد علي فى برود . وتحذرت كى أعطى رغبتى منتظرة أن يطاب هو نفس الطلب الذى ألح عليه فى أكثر من سنة . لكنه لم يقل شيئا سوى همهمة لم أفهم منها شيئا .



قلت : نعم يا عبد العزيز !

قال - وهو يشيخ بوجهه ويبدى تبرا - : لا شيء .. لا شيء ..

قلت : معك حق .. لقد صبرت كثيرا كما قلت .. ولكنى لم أدرك مدى السعادة التى كنت تحدثنى عنها الا أخيرا .. فكم كنت غبية أضعت أكثر من سنة فى التمتع والدلال غير المجدى أما الآن ...

قال - وهو ينظر الى بعينين غائرتين نظرات أفزعتنى ، وكأنه يكاد يغرق عينيه لتنفذ نظراته داخل جمجمتى - : أما الآن فماذا ؟..

قلت - متراجعة فى رأى لكى أحتفظ ببقية عزتى - : أقصد أن نؤجل موعد الزفاف قليلا حتى أتمكن من اعداد لوازمى فى ظرف أحسن .

رد - وكأنه انتشل من حبل مشنقة - : كما تبغين .

قلت : إذن هل تكفى الستة أشهر القادمة مثلا ؟..

قال - كجهاز آلى - : وحتى أكثر فأمامنا العمر .. والظروف عليها تساعدنا

<http://Archivebeta.Sakhril.com> فنحن مسيرون لا مخيرون

وفى نفس الشهر تزوجت رجلا أعرف أنه يحبنى من زمان . وانتقلت من البيت والعمل دون أن أبادله حبا بحب .

**سونيا يوسف كوكي**



## وترتدين عني ... الى ...!

لم تعرفه معرفة خاصة ... لكن بدا لك كأنما هو الصديق الصديق ... هو الحب المتبادل بين المتباعدين .. يمر .. يبسم .. ثم يمضي . يقدم لك بعض الاخبار ثم يغيب .. قالت صفيّة : « عرف التشرد طويلا .. وعاش بويهيميا .. ولما أفاق اغتسل كأنه الصبح ... » كانت دعوة الحب عظيمة فانغمس .. انك تتذكر قدومه المفاجيء مستعيرا كتاب «الشحاذ» .. قلت : لعله يمر بطور السخط الكبير ... على مجتمع لم يستطع أن يعيد بناءه .. ندمت داخليا اذ فاجأته : «مالك ؟» . كان نحيلاً كأنه الحامل للوزر الكبير ... ومع أنك تعرف الخفايا فقد مضى دون سبر ونقاش ما .. كان قليل الكلام والابتسام . ولعل الصفاء في هذا العالم يبدو من خلال «صفيّة» . هي الورد - النبع - الذي لا يننى عن العطاء . هي اللحن المنساب الذي يعطى للكون دلالة ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

جاء جلس حذوك . رواد المقهى يتحادثون بخفوت . لاحظت في وجهه بعض الارتباك . أحسست بما في داخله من مجاهل . لم يحدثك . لم تشأ ان تشغل النار لكنه اذ اشعل اللفافة انفجرت أعماقه فبدا في هيئة أخرى. تكلم بطلاقة وبخفوت . حدثك كالباث للسر الكبير ... ولما خرجتما معا كان الطقس ربيعيا منعشا .. اغتم اذ أخبرك عن الرفاق ... والسجون المشحونة والمنافي .. وعن مذاق البول ... وحدثك عن الحجرات المكيفة الهواء .. بيوت الصيف والشتاء هناك تعيش الفصول في لحظة واحدة كأنك في كوكب خاص ... ولا طبيب .. قال: «أحيانا يغزوني حنين كبير للهجرة، الى الانغماس في المجتمع الاستهلاكي .. كان ينتفض وهو يتكلم . أحسست بألم ممض ها المستعمر يخرج تاركا وراءه .. تهلل وجهه لما أخبرته بأن الكل على ما يرام .. ان الفوران في هذه الايام عام .. هو البداية ... أحسست بحدسك بأن المدينة على شفير الهلاك . وأن القوم يواصلون السير في طريق وعرة لا منفذ لها هي الطريق - الفراغ ... وما تزال الكلمات الجوفاء تملأ صفحاتنا وتتصدر أيامنا ... والرجاء بعد يخيب ..

فيلعن الزمن الذى أتى ... وفى الليل دعاك الى مشاهدة فيلم «العصور» ...  
هل انعتق ؟ أم هو القدر الذى يطوينا ... رددت مع المجموعة دون وعى :

يسبق كلامنا سلامنا يطوف ع السامعين معنا  
عصفور محندق يزقزق كلام موزون وله معنى  
عن أرض سمرة وقمرة وضفة ونهر ومراكب  
ورفاق مسيرة عسيرة وصورة حشد ومراكب  
ف عيون صبية بهية عليها الكلمة والمعنى

قال : لعلها العتمة أو هو الانحدار من الاعلى الى الاسفل - الهبوط - الذى  
لا يحد - النزول المتواصل .. شعرت بما فى القلب من غصة . غصة المكبوت  
الذى عرف المجاهل .. قال : للزمن طعم فريد .. طعم لا ينسى .. ذلك الوحش  
الذى يبتلعك أرحم .. زاغت عيناه . انفرجت أساريره اذ التقينا بصفية  
و «ريم» .. كنت تحاول دوما اكتشاف السر الذى يتميز به فريد ... شعرت  
بأن التقارب بين صفية ووحيد تقارب خلقتة الطبيعة .. هو الفيض الذى ينبجى  
ويسمو ... حسب نفس التوافق - التكامل ... تقدمت من «ريم» . صافحتها  
بيد نارية . لم تكن تؤمن بالاحساسات البسيطة . ومع ذلك شعرت بأن تلاحما  
ما سيكون بينكما .. هل هو الحب الذى يتسكب شيئا فشيئا .. أم هو  
الارتعاش لدى الطارق الاول .. عمتك الكآبة عندما تراءت لك خديجة فى البعد  
تنساب وحيدة انتزعتك «صفية» من خيالاتك الباهتة ضاحكة .. وغمرتك نشوة  
عارمة واذا بك تنهار للصوت الداخلى الداعى الى الفرض ... حاولت التنفس  
خارج بوتقة الخطر لكنك هربت الى الاعماق ... هل هو الهروب والقاء ما فى  
اليد منذ الوهلة الاولى ام هو التقلص لحين ...

لا موضع للآثم . جسدك لم يعد يعي . لعله فقدان الكلى لما يحيط بك . لا  
موضع لجرح .. وكل الروائح باتت دون رائحة . تفتح العين بصعوبة وتبسم  
كانك الاعمى الذى يرى .. وهائم تقترب ! . تقترب .. تقف أمامك .. ريم يا  
موسيقى الكون الآتية من بلد بعيد .. هل أرسلتك الرمال مع رياح السموم ..  
أم هو البحر دفع بك الى شواطئه العطشى ... ريم يا ورد الغسق الذى يولد

ليموت ... آتيك حاملا معي أتعاب السنين ... ولحظة الغوص في الاعماق  
أحس بالضباب .. وإذا الأبعاد بيننا ... وجدار السنين يفصل بين خطانا ..  
أراك كأنى لا أراك . فأسمعك ولا أكاد أراك .. هل كنت أم هو الكون الجائز ؟  
كنت أمشي وسط الزحام الكبير .. يدك معي .. نزحف نحو القوى الرابضة .  
ماسكين الحب والحق والكرامة والصدق ... كانت أعمدة النور والواجهات  
والاوجه المعفرة والاسفلت الحار ... ترمقنا .. وكنا نزحف كتلا كتلا ..  
كالعاصفة وتهطلنا قطرة قطرة من كل صوب كأننا البحر لحظة مده ... تتعاطم  
الامواج تعلو .. كنت عندئذ أرمقك .. وكنت تكبرين .. تتعاطمين ودي عيني  
يشع الامل والحب والتضحية .. كنا نهتف .. ننشد .. نتوعد . فإذا الفياض  
والحقول والأنهار والكون بأكمله يدفعني الى الامام حيث القوى الرابضة ...

تتلون الدنيا وتتداخل الاضواء وأصوات مبهمة تقترب . تتكاثر . تتواكب  
ثم ينفجر البركان .. ثم .. ثم أراك كأنى لا أراك . أمد اليد لأتحسسك ..  
وإذا البحر يكتسحنا والامواج تدفعنا .. أسائل نفسي : أين أنت ! أين  
الملاذ ؟ أين ! ثم لا أراك لكن كأنى أسمعك .. تنتجبن .. ثم أغيب .. هل  
هو الضرب المبرح أم هي وخزات الألم والماء الساخن يهطل علينا ... ثم .. ثم  
الافعى تقترب .. ضاحكة منى تقترب ... ترمقني ضاحكة ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حدود الليل والنهار ما عدت تعرفها .. يأتيك الحارس بالاكل .. في البداية  
لم تعرف طعاما ولا لذة ... كنت تنظر الى الوجه الحزين أمامك : أنف قصير  
مجدور .. ووجه مدور كالخبزة . سألته الاسم .. رمقك كأنه لا يفهم ..  
أحسست بأنه قد عايش القهر والصد لكنه كان طيب القلب سريع الابتسام ..  
سألته الساعة .. وهو الليل .. هنا يصعب التحديد وضاحكا أضاف : تحت  
الارض لا يعرف الليل من النهار .. انى أعمل هنا دوما .. ولا أخرج للسطح  
الا في الاجازات .. ثم رمقك بعين مكتئبة وأقفل الباب ... سمعت رنين خطواته  
وهو يبتعد . ثم كان الليل .. الدوام ..

**مصطفى مدائنى**

القصرين - تونس



## قراءة فى رواية « على مرقص الأشباح » لمحمد العابد مزالى

رواية من الحجم المتوسط ( 168 صفحة ) كتبت بخط واضح سهل القراءة مذيلة بمقتطف من رسالة كان بعث بها الكاتب الى الناشر يشرح فيها الأبعاد الفنية فى كتابته وان كان الكاتب قد اكتفى بالتلميح الى هذه الناحية فقط دون التوغل فيها .

ARCHIVE

نشرتها الشركة التونسية للتوزيع سنة 1978 .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كاتبها الاستاذ محمد العابد مزالى كان قد ساهم بانتاجه الادبى فى كثير من المجلات التونسية . ولزيد من الاطلاع يمكن للقارىء الرجوع الى ما نشرته مجلة « ابلا » عدد 146 لسنة 1980 أو الترجمة المنشورة بـ « قصص » عدد 53 و 54 من سنة 1981 .

### الحدث :

يقول الكاتب : « ... فلقد حاولت أن أتلقف البشر وهم يعملون ويكدحون، ويتراخضون ، ويهيمون ، بقطع النظر عن لون بشرتهم وعن مسقط رؤوسهم ... ص 165 » .

تدور أحداث الرواية فى وسط استوائى بغرب جنوب افريقيا وبالتحديد على ضفة نهر الكنفو حيث قبع مطعم من تلك المطاعم الفخمة التى اعدت غالبا لاستقبال الغرباء . وعلى احدى موائد هذا المطعم جلس رجل ليطلب « كسكسى



تونسى « ويراقب من برجه حركة المحيط وحركة المطعم . يشد انتباهه طفل أسود يصطاد السمك من النهر فيتابع هذا الرقيب حركاته وسكناته حتى تثيره ثلة تتكون من ثلاثة رجال وامرأة فيستعرض « الكاتب » سيرهم الذاتية ويبرر وجودهم فى ذلك المكان النائي . فى الاثناء تدخل المطعم حسناء سوداء تشد انتباه « الرقيب » فيضفى عليها اطناب غزله مستلذا بوجودها ثم يعود « الكاتب » الى السيرة الذاتية للزمرة الاوربية . ولما ينتهى « الكاتب » من ذلك يعود « الملاحظ » الى متابعة حركة الركب فيستعرض نتفا من حوارهم . ولما يبدأ الرقص يعرض شارل على جابرت الرقص فترفض بلباقة متعللة بوجع فى إحدى رجليها فيغتاز هذا الاخير مما يدفع بدانيال الى التعجيل برفع المجلس ، فدخلت جلبرت غرفة الزينة تصلح من أمرها فلحق بها شارل يادومها على رفضها الرقص معه بينما كانت تلبى الدعوة لو جاءت من جيلين الذى تدخر نفسها اليه . ولما رأت من حال شارل الموتور ما أدخل على نفسها الرعب استنجدت فلم يكن أولى من جيلين أن يسمع استغاثتها فانتفض من مكانه وجرى اليها فوجدها تتلوى بين ذراعى شارل . حاول جيلين تخليصها منه فدفعه دفعة اسقطته ثم أخرج شارل مسدسه وأسكن فى جسم جيلين رصاصتين . هرع الناس من كل جهة يستطلعون الخبر . دفع دانيال جملة النفقات . انصرفت الحسناء الافريقية فى شمم بتبعها زوجها . انصرف صاحب الكسكسى التونسى واذا بالطفل الصياد وقد فرغ من صيده فشك ثلاث سمكات بسعفة مسكها بأصابع يده اليمنى وأوسد قصبته الى كتفه اليسرى وهو لا يهتم بما يدور حوله .

فى هذه الدائرة كانت الحركة الروائية .

### الحبكة :

من خلال هذا التلخيص نستشف وجه الحداثة فى البناء وفى الاسلوب . ومستوياتها مختلفة باختلاف الغاية فلم تتسم بوحدة لا فى الشكل ولا فى المضمون . وهذا التقطع له مبرراته التقنية مما يدعونا الى وضع هذه الرواية فى اطار الرواية الحديثة .

وان كانت التأملية أو الشئئية قد طغت فى أجزاء متعددة من الرواية بسمو الملاحظة الذاتية ودقة الوصف وتفجير اللفظ وحسن انتقائه وعمق معناه

وجزالة تعبيره قد يبلغ درجة الاتقان فى بعض المواقف ( ص : 13 . 29 . 34 . 50 . 51 ... ) فان التقريرية الفجة أو التأثرية الجافة والسرد المتداعى والحوار المبذل الذى لا يخلو من شذوذ الاشتقاق وسوء الاستطراد وغريب اللفظ وبشاعة التركيب إضافة الى كثافة التشابيه وتأرجح المعنى وضبابية الرؤية ( ص : 19 . 28 . 30 . 51 . 58 . 66 . 73 ... ) تنزل بالمستوى الفنى وتسيىء الى الحبكة الروائية فيتجلى فى بعض اجزائها التدهور والتداعى .

الجو العام للرواية ليس بالغريب على من اطلع على تلك الكتابات الغربية التى تتحدث عن المستعمرات الاوربية المنتشرة فى القارات الاخرى ، فتصف الطبيعة فيها بالقساوة والحدة . تلك الكتابات التى تصف معاناة الانسان الابيض الدخيل لا مواطن تلك البيئة الذى يعتبر من صنف الجوامد التى يؤثر فيها العوامل الطبيعية .

وطريقة الكتابة ذاتها توحى بأن الرقيب أو صاحب الكسكسى التونسى شديد الشبه بشخصية رواية آلان ثريي «ستائر الشرفة» La jalousie . ذاك الشخص الذى نحس بوجوده من بداية الرواية حتى آخر صفحة فيها ولا نراه مطلقا .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والواقع ان الفرق كبير بين الروائيتين ولا تربط بينهما الا جزئيات تمس عنصرا من عناصر الشخصية وأجزاء من المكان والزمان .

### الشخص :

يقول الكاتب : « ... واذا بها تماثيل قائمة مستوية فعلت على تسوية قدودها ، وتحريك أعضائها ، ونقش وجوهها ، فبانت فيها جباهها وعيونها وأنوفها وأفواهها وآذانها ، ثم جعلتها تشعر وتفكر وتسمع وتتكلم ، وتحب وتكره ، وتسمو وتسفل : واذا هم أشباح سميت منهم من سميت ... » .

قد نتصور فى بادئ الامر ان الكاتب متأثر بشدة التأثير برأى جيمس جويس فى صورة الفنان : « يظل الفنان كخالق الكون فى ثنايا عمله أو خلقه أو بعيدا عنه أو فوقه ، لا نراه ، بعيدا عن الوجود نقيا لا يبالى ... » . ولكننا نكتشف من خلال ما سبق فى الرسالة التى ذيل بها الناشر الرواية أن نظرة

الكاتب الى شخوصه نظرة سلفية بعيدة كل البعد عن الحداثة . ورغم ذلك فانه لا يمكننا أن نناقشه الا من خلال ما قدم الينا فى نصه . وما لاحظناه فى هذا النص نعتبره قريبا جدا من النظرة المعاصرة للشخصية الروائية . أى إن الكاتب لا يكتب عن الشخص ولا يرسم الشخص فقط بل يكتب الشخص ذاته . أى يخلق الشخص فيكون بذلك كخالق الكون . فالشخصية فى الرواية الحديثة ليست ذلك الشخص الذى يحمل هوية ويحمل وجها وعينين ولسانا وشفتين وأنفا وذقنا . بل الشخصية هى الفكرة أساسا . فكرة الشخص أو ايدولوجية الشخص التى تحتوى ضمن محتوياتها الرسم البيانى لهيكل الشخصية الفيسيولوجية ، الايدولوجية ، الثقافية ، النفسانية ، الاجتماعية .

والمتفق عليه فى البناء الكلاسيكى للرواية أن الشخصية تكون غالبا شخصية محورية تستقطب الاحداث فتدور حولها كما تدور هذه الشخصية حول نفسها فتصنع الاحداث وتكون باقى الشخصيات الاخرى ثانوية تدور فى نفس مدارها مكملة لها ولأعمالها وتساهم من بعيد أو من قريب فى نمو الحدث الروائى أو فى دفع الحركة الروائية . وفى هذه الرواية فاننا لا نقف على مثل هذه الشخصية . كما إننا لم نقف على شخصية حديثة التركيب فتنابنا الحيرة ويلح السؤال على دور الشخصية فى الرواية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نتساءل منذ البداية عن هذه الشخصية وعن تركيبها الفنى بعد الاطلاع على بعض الصفحات فقط من الرواية حين يعترضنا ذلك الطفل الاسود الصياد ونحس بمن يتابع حركاته فيذهب بنا الظن الى أن البداية ، بداية لرواية كلاسيكية مع شىء من الطرافة الى مدخل الاحداث . ثم إننا نحس أن هذا الطفل لن يكون ذلك البطل الذى كان بإمكانه أن يصنع الاحداث أو تدور حوله الاحداث ونكتشف أنه شخصية هامشية لا يتعدى دورها دور عنصر الديكور لاطار استوائى ارتضاه الكاتب بيئة لعمله الروائى . ونبقى فى انتظار بروز الرقيب على ساحة الاحداث . ويرفض هذا الرقيب أن يبرز ويمسك بزمام الامور فما يكاد يطفو حتى يغيب من جديد فاسحا المجال لزمرة أوربية ننساق باسهاب نتابع ما يمدنا به « الكاتب » من أضواء تمس التاريخ الاجتماعى وربما النفسانى لها . وان كنا قد تصورنا أننا أزاء أثر حديث البناء فى البداية فاننا نشعر مع اتصالنا بهذه المجموعة أننا بصدد تناول رواية رديئة التركيب قد كتبت فى أواسط القرن التاسع عشر إبان هيمنة الشكل



البلازكي . وكما كان فشل الكاتب في البدء - وهو يحاول إعطاء رؤية واضحة للشخصية الروائية - كان فشله هنا أيضا اذ لم يستطع اخضاع هذه الشخصية واقرارها في مدار الحركة الروائية بوضوح فكان نشازها وشذوذها حتى على البعد المكاني والزمني . لكنه من الواضح أن الكاتب قد استغل هذا الموقف لجعل منه محطة استراحة بعد عناء بداية اتسمت بالعمق والطرافة والاجتهاد تمتد على مسافة 16 صفحة . أما الحسنة الافريقية وزوجها فلم يكن لهما من دور أكثر من أن يدخلوا بهو المطعم فيشدان اليهما الاهتمام شدا . فمن مبهور بجمال الخلق الى مشمئز من وجودهما الى مشفق عليهما أو راث لهما . حول هذه الظاهرة اختلفت العواطف . وهنا تكمن أهمية هذا الزوج العابر في الحدث الروائي . أما صاحب « الكسكسي التونسي » فكان عين الرقيب الذي يستوعب ولا يساهم في الحدث . كان بإمكان الكاتب أن يجعل منه شخصية متينة البناء لرواية حديثة . ولكن هذه الشخصية لا تكتسح كل صفحات الرواية مثلما حصل في رواية آلان روب فريي المشار اليها . وبذلك بقيت محدودة الأهمية ولا يمكن اعتمادها بأية حال من الاحوال كشخصية نموذجية متكاملة في عمل روائي . وكثيرا ما كان يقع الخلط بين هذه الشخصية وشخصية الكاتب . وهكذا يقع الخلط بين الذاتية والموضوعية . مجموع هذه العناصر يكون وحدة وبذلك تكون هذه الوحدة الشخصية الروائية التي كانت أقرب الى بناء الشخصية الروائية الحديثة منها الى تلك الشخصية التي تتميز بالبروز والبطولة لأن معنى البطولة في هذا النص باطل .

ثم إننا لا نجد عنصرا من هذه العناصر قد تحدى دوره الذي حدده له الكاتب ضمن شبكة العلاقات التي ضبطها منذ بداية النص . فالعلاقات كانت علاقات احتراز وعلاقات نفرة بين جميع العناصر . علاقات جفاء وقطعية بين الطفل الصياد والمجموعة الاوربية ، علاقات تعاطف بين الطفل الصياد وصاحب « الكسكسي التونسي » . علاقات ود جزئي في نطاق العنصر الواحد : علاقة جيلين بجلبرت أو علاقة نفاق : علاقة شارل بجيلين . وإجمالا فهذه الشبكة من العلاقات كانت متوترة مضطربة لا شيء يشدها الى بعضها أكثر من بعد زمني محسوس وبعد مكاني محسوس .



## الزمن والفضاء :

ليس من السهل فصل الزمن عن الفضاء في هذه الرواية ذلك أن عدم التوازن القائم فيها بين الفضاء المحسوس والفضاء المجرد وبين الزمن المحسوس والزمن المجرد لا يترك مجالا للتوازي أن التوازن أو إمكانية افتراض أهمية زمنية أو فضائية دون أخرى .

فضاء الرواية فضاء استوائى بدائى عند الطفل الصياد . حضرى همجى عند المجموعة البيضاء . مشوش متكلف عند الحسناء السوداء وزوجها . خلاب ضيق عند صاحب « الكسكسى التونسى » . هذا الفضاء المحسوس للرواية لا يقابله فى الأهمية الفضاء المجرد الذى نكتشفه أجوف فضفاضا . وهو ما أدخل اضطرابا فى الحدث الروائى وما برر التجاء الكاتب فى بعض فصول الرواية الى السرد .

هذا الخال الحاصل وعدم التوازن بين الفضاء المحسوس وبين الفضاء المجرد كان له تأثيره على مستوى الزمن الذى جاءت أهميته عكس الفضاء فى الزمن المجرد فكان الكاتب أراد بذلك أن يقر التكامل بين الفضاء والزمن . فكان الزمن المحسوس هزيلا فى إثراء الحدث الروائى . وكان الزمن المجرد مشحونا يقابل فى أهميته الفضاء المحسوس فانطلاقا من لحظة آنية نتدرج نحو ماض مشحون : فمن ملاحظات الرقيب وذكرياته الى إعادة التاريخ الاجتماعى والذاتى للمجموعة الاوربية ، الى حضور الطفل الاسود والحسناء الافريقية وزوجها تكون أهمية الزمن . فزمن دانيال لا يختلف عن زمن شارل ولا جيلين ولا زمن جلبرت فهو زمن الاستهلاك أو زمن التخمّة ( ولئن اقترح أحدهم لحما بارزا يتقدمه طبق من أنواع اللحوم الباردة المصبرة فلقد أثارت المرأة أن تسعد معدتها بلقيف من الحضر تتبعه مداسة مشوية ... كل معدة وما هضمت ص 30 ) . وهو زمن الحرب ( أدرك أميل مرشال ... أن يلب الكوارث انفتح فى وجهه وان البلاد يلحقها الضيم الكبير وتناها أيدى الفساد والحراب . وأيقن أن هذه البلوى ستطول بأهلها فيصابون فى أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ص 59 . لا يطلع عليها الصباح الا وهى بين أطفالها تلقنهم ما عسى أن ينفعهم فى مستقبلهم من مبادئ المعرفة وإن كانت مؤمنة إيماننا لا شك بعده أنهم فى تلك الأونة من حياتهم الى شىء آخر أحوج الى

الحصول على ما يكافحون به جوعهم أسرع ص 11 ) ... هي الحرب وما أدراك .  
تنفجر صاعقة وتلتهب نارا وستمطر حديدا ص 139 ) . وهو زمن العنف  
( سرعان ما أطلق عليهما طلقتين من مسدسه ص 132 ) . كثيرا ما كانت هذه  
الأقراط تقلع بما كان متصلا بها من شحومات الآذان ... وهناك من استعصت  
عليه الأسورة أن تخرج من معصم صاحبها فلم يسعه الوقت الا أن يقطع ذلك  
المعصم بخنجره ص 146 . ودفع بجيلين دفعة عنيفة صادمة بالجدار.. فيخرج  
مسدسا ألقى به رصاصتين نحو جيلين ص 163 ) . وهو زمن الكراهية  
( فلقد ثارت البلاد ثورتها كالنار الملتهبة فهم الى ضرب وصفع وتشريد  
وتقتيل يدخل الى بيوتهم ويعاث بأمتعتهم ويصابون في أولادهم ويهانون في  
أرواحهم ص 74 ) .

وزمن الطفل يختلف عن زمنهم . فهو زمن الدعة والاطمئنان والامل ( هو  
واقف على كل حال وليس يبدو منه ما قد أخذ نفسه عليه من شديد اليقظة أو  
من واسع الاطمئنان ص 11 . بحيث أن يأسه في الجملة كان على قدر رجائه في  
الجملة ص 12 ) .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الخاتمة :

قد نتساءل في الختام عن مدى وعي الكاتب بتقنيته المعتمدة في الرواية وقد  
لا يقنعنا ما جاء في رسالته الى الناشر أو قد يضلنا . والمتأكد أنها خليط بين  
الحداثة والقدم . والمتأكد أيضا أن كاتبها مضطرب في مفاهيمه للتقنية  
الروائية وقد سيطرت عليه مكاسبه التعليمية ولم يتمكن من تجاوزها بفرض  
طريقته الشخصية في الكتابة .

هذه الرواية في محتواها المضطرب شكلا ومضمونا لا يمكنها تجاوز ذاتها  
أيضا فتبقى ذاك الأثر الذي استجاب لرغبات كاتبه وقد لا يستجيب لرغبات  
قارئه . ورغم هذا تبقى أثرا طيبا له أهميته في إثراء المكتبة الروائية العربية  
وتجربة فريدة في نوعها في الرواية التونسية .

محمد الهادي بن صالح

## صفحات من كتاب قديم لم يصدر بعد لسيرة : السيدة العلوية

- 1 -

قيل فيما قيل : انها تلقب بهذا اللقب نسبة لسلالة العلويين ، وجدها أحد  
أشراف هؤلاء القوم الذين سجلت الكتب أيام عزهم وبذخهم ، فعاشوا قرونا  
طويلة ، ينعمون بما أنعم عليهم زمانهم ، فتناسلوا جيلا بعد جيل .

من خلف الجبال الحدودية البعيدة ، يغلف قممها وشاح أبيض شفاف ،  
تشوبه زرقة باهتة ، دافئة ، أطل رجال يحملون قضباناً حديدية ، وسيوفا  
وأشوا أخرى كثيرة من السلاح .. انقضوا دفعة واحدة على القوم الآمنين ،  
فمات من مات ، وفقد من فقد ، وآخر اعتقد أنه تمكن من الهرب ، أطلت عليه  
دفعة أخرى من الرجال ، انقضت عليه .

انتفضت مذعورة ، ثم التفتت حول جنبها ، فتأكدت أن شيئاً منقوصاً  
يرعبها ، وألقت بنفسها في البحر .

يومها ، تعلمت السباحة .

يومها ، بحثوا عنها طويلاً . رابطوا في كل الممرات .

.. ولم يسمع أحد شيئاً عنها بعد ذلك اليوم ، برغم الجهود التي بذلوا .

- 2 -

كانت هنا ..

لم يكن ذلك من زمن بعيد . لم يكن ذلك من زمن قريب .

لم تكن شيئاً . كانت فقط كل شيء ..



وكى نقتنع أنها فعلا كانت هنا ، وأن ما يقوله لم يكن قد سمعه من أحد ،  
فردده كما يفعل الكثير ، بل ان ما يقوله لم يكن البتة لفائدة طرف معين . وقد  
بات لديه أننا لم نقتنع بعد ، يشير الى مسمار غلفه الصديد يتدلى من عنقه ،  
مشدود بخيط من الجلد ، فتخلف اشارته صمتا ناطقا ، وبقعة ضوء يحاصرها  
الظلام ، ونواح مركب ضائع فى الضباب . فنفهم أن ذلك هو كل ما خلفته فى  
هذه البقاع ، يقال : انها احتضنتها طويلا . وهو أمر كاف حتى لا نقتنع .

فى النهارات الشتوية - أيام كانت - لم يكن يحسب أحد أن أمورا كثيرة  
ستحدث ، فانطقات مواقد النار يوما ، وتوقفت المداخن عن التنفس ، فكان من  
نتائج ذلك أن اكتسبت السماء زرقة تناثرت فى أرجائها سحائب خلب ،  
تتوقف فوق الرؤوس ، ثم سرعان ما تنسحب ، تخلفها أخرى ، تشدنا اليها  
طويلا ، فاعتمر فى الصدور يأس انتظار طويل ، وترنحت أجساد ، وتساقطت  
أخرى فى مواقع ظل تقلص وانسحب من تحتها ، وقد تصدر القرص  
النحاسى كبد السماء ، يبعث بوهج يلفح الوجوه ، سرعان ما تحول الى حرارة  
خائفة ، فتمددت البلدة قضيبا حديديا مصهودا يتوهج حرارة وحمرة ومنبسطا  
صخريا يتدلى يتعلق كسراط ذاك اليوم .

تستيقظ ، تتحسس طريقها بين الأزقة وفى الشايات . تتردد صباحات قرينتنا  
فى اللحاق بها ، ثم تدب متثاقلة

كان ذلك فى بداية الامر شيئا عاديا ، عاديا للغاية ، تروح وتجيء ، تطل  
وتختفى ، تدخل البيوت أو تنام عند عتباتها ، وأشياء أخرى ، تفاصيل  
كثيرة تشهدها البيوت ، فتنتفتح الابواب .

تلك البيوت المتراصفة ، تلتف حول بعضها بصورة مبعثرة ، امتدت الآن  
على امتداد هذا المنبسط ، حتى الافق ، يبدو تحت أشعة القرص النحاسى ،  
سيفا مسلولا يتقوس ، يعانقها فيحاصرها .

هذه البيوت التى اعتادت ان تلعب بقربها مع أطفال الحى ، والاحياء الاخرى  
المجاورة ، فتحلقوا حولها ، يدقون الارض دقات خفيفة هادئة ، متناسقة ترتفع  
درجة تشنجها رويدا رويدا .



لم يكن ذلك بصورة منتظمة ، قليلة هي المرات التي ظفروا بها تغيب بين وقت وآخر ، فتعودوا غيباتها ، التي قد تطول أو قد تقصر ، بحسب الظروف أو الصعاب التي قد تكون اعترضتها ، فتنقطع أخبارها ، ثم تطل ، فتتكاثف السحب فوق الرؤوس ، تهطل بكثافة ، وحيشا تنقلب ، هطلات ، فانحبست في أماكن أخرى بعيدة .

حين يتمكنون منها ، يطوقونها كما يفعلون الآن . يتهامسون فيما بينهم ، ثم يحاصرونها . تضيق الحلقة ، خطوة خطوة ، ثم تتفتح شيئا فشيئا زهرة برية ، تتماسك ، فتقف وسط بساط أحمر داكن ، تغطيه صخور فتتتها الحرارة

عشية ذاك اليوم ، وقف رجل غير بعيد . أسند ظهره الى جذع شجرة توت ، يرقب ما يحدث . يتتبع كل كبيرة وصغيرة تحدث هنا أو هناك ..

كان ذلك في البداية شيئا مرعبا ، مخيفا ، الى حد أن أحدا لم يجرؤ على الاقتراب منه ، أو الالتفات اليه ، وقد تصنعوا ذلك واضحا ، اذ في قرارة كل واحد أمنية في التثبت في ملامحه ، أو التحدث اليه ، ومع ذلك فقد استرق بعضهم النظر . ثم التفوا يتهامسون فيما بينهم ..

بعدها ، حدثت أشياء كثيرة ، فهدأت ملامحه ، وتسلفت من بين شفثيه ابتسامة انسابت ، غطت وجهه ، جعلته اكثر وضوحا .

ثم اصبحت مثل هذه الاشياء تحدث كل صباح ، حيث يقف او يجلس ، عندما يتعبه الوقوف ، وقد انبثقت من جبهته جبات عرق ، انحدرت مع تجاعيد وجهه ، جعلته متخشبا .

### - 3 -

وقيل ان احدهم حدث أحد تلاميذه - صباح يوم خريفى عند باب الديوان ، بعد صيام عن الكلام دام ثلاثة ايام بلياليها - قال : انه عثر على مخطوط يتمم ما جاء فى الرواية الشائعة ، ويفند البعض مما جاء فى فصولها : فأكد أنها تلقت بذاك اللقب ، نسبة لقرية تونسية ، لا شرقية ولا غربية ، تتعلق

بشمال البلاد ، تحط عند قمة جبل ، تمتد جذوره فى البحر الذى التف حوله  
بعانقه ..

ويومها ، حدث ما حدث ، كل تلك الاشياء الفظيعة ..

- 4 -

تمططت الايام ، طالت غيبتها ، نسيها البعض ، فذكرهم بها البعض الآخر .  
وقف غير بعيد ، كعادته دوما . يسند ظهره الى شجرة التوت ..  
صمت ..

يتخلص من وحدته ، وقد تردد من البداية . تحلقوا حول الكانون ،  
البراد يطلق صغيرا متقطعا ، كان من زمن فال خير . شاركهم الجدل ، بعد  
صمت ران طويلا ، تعلق فانوس ينشر ظلمة وعدھا ما . أصابته رعشة مست  
أعصابه فتوترت ، اعترف لنفسه على اثرها ، ان عملية صيد الذكريات من  
ذاكرة هديتها ، السنون - تحولت الى أنقاض ، وقد دمرتها احداث ووقائع  
كثيرة بعد حصار دام طويلا - أصبحت قاسية ، لم يعد يحتملها . حجر ثقيل  
يجثم على صدره ، يقطع أنفاسه . مع ذلك حدثهم ،، وحدثهم طويلا ،، وتاه ...  
وكان يردد من حين لحين : الحديث ذو شجون يا أولاد ، ليتكم عرفتموها ،  
فتمتعتم بطيبة معشرها .. هذه المرة طالت غيبتها .. لم نكن نحسب أنها  
ستطول الى هذا الحد ..

ثم يردف : ولكن اطمئنوا ، ستعود .. عودتها قريبة .. لن تطول اكثر .  
ويوم عودتها، ككل مرة ، نصعد فوق السطوح ، نتبع السحب تتكاثف عند  
الافق ، وفوق الرؤوس ،، ثم سرعان ما تتفجر المجارى .. ويلتف الاطفال  
حول موقد النار ، يشاركوننا فرحتنا ، فتمنحهم السنننھا تنعكس على وجوههم ،  
دفئا ،، وخيالاتهم تتعلق خلف ظهورهم تتطاوّل ، تسد الفراغات ،، تملأ  
الامكنة صخباً وضجيجاً ..

قرون عديدة الآن قد مرت ، وان طالت غيبتها ، فهي قد علمتهم كيف  
يحفظون المياه فى السواقي ، يطلون اديم الارض بالطين . ثم تتوافد نسوة  
الحى ليغفرن ..

قرون عديدة الآن ، الانقراض تتراكم ، سنة بعد سنة ، وفصلا بعد فصل ، ويوما بعد يوم ، وبين ساعة وأخرى ، حجر ثقيل يجثم على الصدور ، يقطع الانفاس ، ترتفع الحرارة ، يشتد الضغط ، يرتفع معها الغبار تتحول الرؤية الى نفق مسدود . تنبثق في تلك اللحظات آلاف الصور ، مسترسلة ، متداخلة مضطربة ، استطاع من بينها ان يختطف واحدة : حين مرت حذوه ، تجتهد في رفع اطراف مليتها ، زرقاء بلون البحر ، توشحها خطوط حمراء تتكسر مع تموجات جسدها . لوقع خطواتها نقر خفيف ، يتناغم ، ثم يتلاشى عند احد المنعطفات .

## - 5 -

ليلتها ، لم يصل خلف «العرف عزيز» كعادته ، ولعل هناك من سال عنه ، وهو الذى لم يعودهم بتخلفه . سنون طويلة وهو يقوم بهذا ، ويوم فكر ، انهى الموضوع بسرعة . الحلقة مترابطة ، فلماذا يقطعها ؟ . استعاذ من الشيطان ، واقتنع ان ذلك من فعله ، لم يحدث احدا بما فكر ، وما لعب برأسه هذه الليلة ، خشية ان يساء به الظن .

ادعوه مفتاح جامع البلدة ، يفتحه وقت كل صلاة ، ويغلقه وقتما ينتهى الجمع من ذلك .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يومها ، أى فى ذلك اليوم الذى انهى فيه الموضوع بسرعة ، طرد الشيطان شر طردة ، وهو مقتنع تمام الاقتناع ، ان ما قام به كاف لحد ما ، حتى يجعل ايمانه صافيا ، وقلبه عامرا ، ونفسه راضية راضخة طوع امره ، ، فارتاح باله ، اصر على أن يكون كما كان يقول سيدى عبد القادر ، وهو يلح على الانضباط فى تنفيذ ما خطه بتلك الوريقات المطبقة على بعضها ، هذا الرجل الذى لم يسبق له أن التقى به ، او تحدث اليه ، حفظ الستين حزبا ، دخل جامع الزيتونة يتعثر فى اطراف جبته المتدلية ، يتربع عند سارية ، يتشاغل بالبحث عن الكلمة المناسبة يضعها فى المربع المناسب ، ، جالس علماء الازهر ، فلاعبهم طويلا ، وهزمهم المرات العديدة ، ، لم يجده ذلك (والارجح انه لم يجد هناك ما كان يصبو اليه ) فسافر شرقا وغربا ، امتطى الوهاد والهضاب ، عرف خلقا كثيرين ، ، ثم تفتن ان العمر قد ذهب به بعيدا ، فصام عن الكلام ، ، اعتكف ببيته اياما ، ، طالت على الذين تعودوا سهراته ، يتربع عند صندوق



خشبي مستطيل ، تأكل ، فقد لونه ، يحدثهم عن سيدى مصطفى البحرى ،  
هذا الرجل التائه فى الصحراء ، ، يسألها ، يتقصى أخبارها ، ، وانتهت به  
الرحلة الى هذا الصندوق ، داخل زاوية ٠٠٠ ثم أعد زاده وزواده ، ، شوهده  
يركب جوادا عربيا اصيلا أهدته اياه «جمعية الرفق بالحيوان» ، بعد أن دفعت  
مقابله آلاف الدنانير ، ، وقد ماطل صاحبه فى البداية ، ،

قال الذين حضروا الصفقة : كيف يمكن أن يبيع جوادا كهذا ، يدر عليه  
آلاف الدنانير أسبوعيا ، ، وهو المختص الوحيد فى المسافات الطويلة ، ،  
قال آخر : سيترك مكانه ، ،

ثم أضاف : انتهت الفرجة ، لا تسألوا عنى ، فلن أعود ثانية الى قصر  
السعيد ، ،

ولم يتردد آخر فى التعبير عن قلقه ، وخوفه على سيدى عبد القادر ، وهو  
الذى لم يتعود ركوب الخيل ، فربما قفزت به على حين غرة ، وربما سقط ،  
ثم أردف : ليتته على الاقل تدرب ، ، فركوب الخيل تلزمه تمارين ، ،

تقدم الركب ١٠٠ يتألف من مفرزة من الخيالة ، وفى الخلف وقف الجمع ،  
نساء ورجال وأطفال ، بكروا فى النهوض لتوديع سيدى عبد القادر . ورغم  
حرصهم على الاستفادة من ساعات النهار الاولى الباردة ، فقد انتشرت حرارة  
رهيبه ، وتوقف الهواء ، فظلت الابخرة المتصاعدة فى الجو الساكن معلقة ،  
ولاح كابوس يجثم على الاجساد ، تتحرك تبدو متراقصة كأن غثيانا قد أصابها

تحركت الخيل ، تمايل الجسد المتكوم ، فقد توازنه ، ، صاح الجمع ، ،  
انتبه سيدى عبد القادر ، ارتدت الصيحات ، وتعالى الابتهالات والتهافتات ، ،  
صاح واحد من وسط الجمع : «الله اكبر» الملائكة حاضرة ، ، تمسك به حتى  
لا يسقط «الله اكبر» صلوا على النبی الحبيب ، ، الف ولا يزيه ، ،

- 6 -

قبالتهم ، تربع سيدى عبد القادر ، يمسك بين يديه كتابا ، يتثبت فى  
الوجوه ، ، ثم تغوص عيناه بين الاسطر :



٠٠١٠. انسلت الخيل من وسط الضجيج ، وارتد الجمع بضع خطوات  
يفسحون لها مزيدا الطريق ، فيلوح «عم ابراهيم الملاي» (\*) ، يتعلق بالخيل  
وباحدى قدمي سيدي عبد القادر ، يجذبه احدهم ، فينطرح على الارض ٠٠! لم  
يكن أحد يحسب أن عم ابراهيم سيجرؤ يوما على القيام بمثل هذا ، بعد كل  
ما حدث له ، من زمن قريب ، ، قريب جدا ، ، لم يكن أحد يحسب أنه سيفامر  
ويطلب من جديد الرحيل ، وقدماء مازالتا تشكوان تورما أفلحت الطرق في  
تعميقه ، ، لم يصدق أحد أنه يجرؤ على مثل هذا ، بعد كل سنوات التيه  
والضياع والتشرد التي عرفها ... صبايحي في بلاط الباي ، يتجول من  
قرية الى قرية ، ومن دوار الى دوار ، يجمع المجبة ، ، جذيا باسلا ضمن  
القوات الفرنسية التي سافرت الى الهند الصينية ، صباح يوم رصاصي حيث  
فقد ٠٠ افتوا في الامر ، وبعد نقاش طويل استمر اياما ، اعلن استشهاده ، ،  
نقش اسمه باحرف غليظة فوق قطعة رخامية انتصبت باحدى الساحات ، ،  
بعد غياب طويل ، ، يوم عودته ، ، تسمر امام النصب ، ، مضى وقت طويل ، ،  
ران صمت تعلق فانوس ينشر ظلمة وعدما ، ، ومنبسطا صخرية فتتته  
الحرارة ، ، فتح كفيه ، وقرأ الفاتحة ، ، سقطت ظلمة في عينيه ، ، تلقفته بين  
ذراعيها ، ، ليلتها ، نام على صدرها ، سقاءا يحوب الازقة ، يطرق الابواب ، ،  
يتراكم اطفال الحى خلف عربته ..

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

اقتفت آثار الشيخ اربعة خيول ، تنطلق ، كانت من حين تتشمم الارض  
المقفرة ، شققتها ، الحرارة ، تصحبه الى خارج البلدة :

ركب الجواد الاول ، سى محمد الحبيب ، عمدة القرية ، (تخلي عن منصبه  
فى نفس تلك السنة برغم الشعبية التى كان يكتسبها ، وقد تسلمت اشاعات  
اقضت مضجعه ، لم يصدق أحد أن سى محمد الحبيب يتخلي بكل هذه  
السهولة ٠٠ انتشرت فى القرية اشاعات أخرى : سى محمد الحبيب العمدة ،  
مريض ، ، مرضه معد ، ، الزيارات ممنوعة ) .

وركب الجواد الثانى سى الصادق الامين ، العدل والكاتب العمومى ، محرر  
عقود القران والطلاق والبيع والشراء فى البلدة ٠٠

(\*) السقاء .

فى الجهة اليسرى كان منذ قليل سى عبد المجيد يتطلع من فوق جواده الى  
القوم المكتظين حول الموكب ، وكان من امانيه ان يقف على رؤوس الملا ، يقول  
كلمة ، تشرئب الاعناق ، تتبعه ، ييوح بما فى صدره ..

حذوه ، وقف ممثل جمعية الرفق بالحيوان على ظهر جواده ، يضع بصره  
فى الافق ، حيث يتراى من بعيد سيدى عبد القادر ..

كان يوما قائظا ..

بمجرد ان اختفت الخيول ، تعالى فى الفضاء غبار وضجيج ، وارتفعت  
الابتهالات والهتافات ..

- 7 -

فى اول أيام الخريف تهب رياح قوية ، ، تعصف ، ، تحمل معها كل شىء ، ،  
تدفع الكثبان الرملية ، تذرّفها على الوجوه ، تلطمها ..

هذه هى احدى تلك الاشارات المؤذنة بقدومها ..

فى مثل هذا الوقت ، من قرون عديدة ، ، فى غمرة الخوف مما قد تسببه  
هذه العواصف ، يتشبثون بها ، يطلبونها ، ينتظرونها ، فهى تبقى مع كل  
ما تخلّفه ، إحدى العلامات التى تناقلتها سلالتهم جيلا بعد جيل ، تبشرهم  
بقرب موعد مقدمها ..

، ، ينتظرونها ، يتطلعون اليها ، ،

عبر الافق اذا تغير لونه .

والحرارة اذا تكسرت .

والعاصفة اذا عصفت .

هذا المساء ، ، غدا مع طلائع الفجر ، ، تكون فى موعدها ، ،

مع هدوء العاصفة •

تأتى مع الريح تسكنها •

مع السحب تتكاثف ، تنشرها فى هذه البقاع •

تأتى مع أسراب الطيور المهاجرة •

تحل ، تملأ الاجواء زقزقة وزغرودة ، ودفئا ، هذا هو وقتها ، لن تتخلف  
هذه المرة ••

فى مثل هذا الوقت ، يتحلق الاطفال حولها ، يعانقونها ، يتشبثون بها ،  
ثم ينتشرون فى الازقة ، ينقلون الخبر ، يزفونه لكل البيوت ..  
فى الاماسى تأخذهم ، يتحلقون حولها ، على شاطئ البحر ••



فى نفس ذاك اليوم ، ذاك المساء لاح فى الافق البعيد بريق خاطف • ثم  
اختفى ، بعد انتظار قصير أطل من جديد نقطة بيضاء ، تظهر ، تختفى ،  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال احدهم : مع طلوع الفجر ستكبر ، ونتبين الامر على حقيقته •••

مع أولى طلائع الفجر ، انتشر الخبر ، وعلت هممة تحولت الى ضجيج  
يملاً الازقة تطرد بقايا ظلمات تتسكع ،،،

— عاد سيدى عبد القادر ، معه امرأة ،،

تراكضت الجموع نحو مدخل البلدة ، تحلقوا حولها يتفحصونها ، فركوا  
أعينهم ،،

دققوا فيها النظر ،، بينما هى تجمدت فى مكانها ، تقف وسط الجموع  
المكتظة تتفحصهم ، وفى عينيها بقايا فراغ ،،

يوسف سلامة

تونس 12 / 81

## المجنون

كان المساء يخيم قليلا قليلا ، يحمل فى طياته نسيمات باردة ، تدغدغ الوجه ، فتسرى منها فى الاعضاء رعدة ، وكانت عقارب الساعة تبتعد لاهثة عن الرابعة ، وكانت الغرفة توحى بوحشة ثقيلة تكاد تضيق لها الأنفاس .. كل ما فيها واجم محزون : فالبساط الذى يتوسطها بساط لم يبق منه الا خيوط نسجت بطريقة ما بعد أن امتدت يد الزمن القاهر ، والكراسى المصفوفة حوله اهترأت وجوهها ، وبدا منها الحديد ، ونتف من القطن ، وحشايا طرحت فى غير نظام هنا وهناك .. وكان قد اتكأ على احدى الحشايا شبح ضئيل غارت عيناه ، وبرزت وجنتاه ، واحمرت أرنبه أنفه ، للسع البرد القارس الذى لا يزال يشتد ويشتد مع حركة عقارب الساعة .. هامد لا يتحرك الا فكره ، فهو لا يتوقف ليل نهار ، يحملق بعين شاخصة الى أقصى زاوية من زوايا السقف ، ولكنه لا يرى فيها شيئا ، ولا يرف طرفه عنها ، لأنه كان يعيش بعيدا عن هذا المنزل .. بعيدا عن كل ما حوله ، يعيش مع ولدين لم يرها منذ عام كامل ..

انه صائم حقا كما يصوم كل عباد الله . ولكنه لم يستطع أن يفهم لصيامه أى معنى ، لأنه سيصوم رغما عنه ، ولو لم يكن الصيام فرضا ... ان الذين يصومون يصبرهم أمل الافطار عند المغرب مع أولادهم وزوجاتهم مع الأنواع المختلفة من الأطعمة الشهية .. ولكن لم يصوم ، وماذا سيفطر بعد الصيام .

راح يتذكر الايام الخالية ، قبل أن يسقى من وظيفته .. ايه .. عندما كان « يلعب » بالدراهم لعبا .. آخر رمضان قضاه بين أسرته كان من شهور السعادة التى قضاه ، سلته كانت مملوءة بالخضار واللحم والفواكه .. كان يدخل المطبخ منهكا يلهث ، ولداه يشيعانه ويسألانه عن الموز والتفاح .. تذكر روائح الطبخ الذى كان يعبق بها مطبخه فى درج العمارة ... تذكر كل ذلك وهو ساهم محزون ، لا يكاد يتحرك منه عضو لو لا دمة نفرت من عينيه ومن دون شعور راح ينشج ..



كان وكان .. والآن ها هو ذا وحده ، يجتر همومه وأحزانه ، ويعاشر أخيلته وذكرياتة .. بعد أن أخذت « الأولاد » وأخذت النفيس من الاثاث ، وذهبت الى أهلها : « لا أمل لها بى ، انها لا تحبنى ، ولكن أمها هى السبب .. على أن أعاندها .. على أن أثبت أمامها .. تركت عملى وذهبت الى أوربا أبحث عن عمل هناك ، عندما صدقتها بقيت شهورا وأنا أبحث عن عمل ، وسكن .. وأخيرا هيات كل شىء ، ودعوتها لتبتعد عن أمها التى تكرهنى كما تكره « عزرائيل » تركت أمى المريضة ، وتركت عملى وصدقته ، وفى غيبتى سلمت أمى روحها ، وهى تلفظ آخر أنفاسها ابني ممزوجا بعبد الله . هذا ما قاله أخى سعيد فى رسالته الاخيرة الى » .

ضاعت الدنيا فى عينيه ، وشمل كل شىء غشاوة ضبابية أضاعت معناه . عندما وصل الى هذه الصورة المؤلة ، التى كان يتمنى أن يغيبها فى أعماقه ، ألم تنذرف دمعات حارة فوق الرسالة عندما قرأ تلك العبارة تمنى لو لم يكتب أخوه تلك الرسالة ، وماذا كان يحدث لو أنها ضاعت فى الطريق .

وهنا وضع رأسه بين كفيه ، وأغمض عينيه بعد أن ناء بحمل جسمه، فانطرح على ظهره فوق احدى الحشايا .. مدرجليه ، فأغرا فاه : « لقد اخذت أولادى ، حرمتنى منهم ، أقنعتهم بأن أباهم مجنون ، هه .. مجنون .. ليست هى الوحيدة التى تتهمنى بذلك ، فكل الناس ينظرون الى تلك النظرة ، انهم يعاملوننى برفق ، يسخرون منى أحيانا ، ويبطنون كلامهم باستهزاء مرة أخرى ولكنهم كثيرا ما يضحكون حين يفقدون السيطرة على أنفسهم . حتى أولاد الطريق لا يتورعون عن مناداتى باسمى عندما أمر جانبهم .. وماذا لو نادونى باسمى ؟ أية علاقة بين هذا والجنون ولكن لم لا ينادون غيره من الناس فى الطريق لم اختارونى بين هذه الكتل المتحركة التى تملأ الرصيف .

آه لو أمسكتهم ، لو وقع شيطان منعهم فى يدى ، والله لأمزقنه ، ولأروين ظمئى من دمه .. أولاد الكلب ، شريريون .. »

لم يدر عبد الله كيف تذكر فجأة ( الخرفة الملفوفة ) التى وجدها أمس على باب داره ، وكانت هذه المرة العشرين ، ذكر ليلته التى لم يستطع أن يستسلم للنوم فيها أبدا ، رغم أنه فعل ما وصفت له جارتة بأن يبول عليها كى يبطل

عملها ، وقد اضطر الى شراء الكتب الصفراء التى تبحث أمور السحر ، واشترى  
البخور بكل أنواعه ، وما كان يستطيع ذلك لو لا احسان المحسنين من  
الاصدقاء ..

سئم حياته هذه ، وسئم رؤاه وأخيلته التى لا تفارقه ، لم يستطع أن ينسى  
أيام عزوبته . كانت ذكرى أيامه الماضية التى يحاول أن يتمسك بها كى ينسى  
واقعه ، ولكن سرعان ما يرى نفسه فى أتون واقعه المرير ، وكيف يهرب منه  
وهو يعيش كما تعيش الكلاب القذرة بعد أن أقنعت زوجته بأن يفعل بنفسه  
ما فعل ، ولم يتصور أن ذلك كان خديعة ، لأنه كان يعتقد أن ذكاه فوق كل  
خديعة .. وأخيرا ترك داره بعد عام كامل فى ديار الغربه ، والرسالة تلو  
الرسالة .. ورجع عندما لم يجد حلا الا الرجوع ..

رجع .. فوجد داره فارغة من كل شئ ، حتى من ولديه اللذين لم يرهما منذ  
عام . « أمها هى السبب ، ولولاها لكنت عنده منذ زمن طويل ، ولما اضطر الى  
العودة بعد أن كاد يستقر فى أوربا ، ولكن ما له والبحث عن الأسباب المهم  
انها هى - لا أمها - التى تطلب الطلاق .. لقد قالت للقاضى أمام عينه : انه  
مجنون ، كسر زجاج الدار ذات يوم ، وهجم على يريده قتلى ، وقد شهدت لها  
احدى الجارات بذلك .. »

ولكن هل هو المجنون حقا أم القاضى هو المجنون ان صدق كلامها . خبيثة  
رضعت حليبا خبيثا فكيف تطيب أخلاقها كذب من قال : « ان الشوكة تخلف  
وردة ، فالشوكة لا تخلف الا الشوكة » ..

ها هى ذى عقارب الساعة تزحف نحو الخامسة .. ساعة الافطار ، والجوع  
يكاد يفرى أمعاءه فكيف يفعل وأين سيفطر وداره خاوية حتى من كسرة خبز  
يسكت بها جوعه ، وليس فى جيبه دينار .. لقد أفطر أمس عند محمود ، وأفطر  
أول أمس عنده ولكنه بدا البارحة منقبض الوجه ، ربما مل وجوده بين عائلته  
كل يوم .. قرر عبد الله ألا يستسلم لأنسابه ، سوف « يدوخهم » بهذه الكتب  
الصفراء التى اشتراها .. لن يدعهم ينامون الليل .. سوف يبحث هو الآخر  
عن أسنان الكلاب ، وأعراف الديكة ، وعن كل أنواع البخور .. وسيذهب الى  
صديقه محمود كل مساء رغم وجهه المنقبض ..

**زهير العلاف**

1970 - 12 - 6

## الصراع

أصبح يتيما وهو بين المراهقة والرشد . يفقه ويعى كل شىء دون أن يسمح له القانون ولا العرف بالتدخل أو المشاركة ولو كان فى ما يتعلق بمصيره .

توفي أبواه تاركين له رصيда هائلا : أصل عريق وماض مجيد وسمعة حسنة وثروة ضخمة وعائلة عديدة . ولعل هذه الأخيرة أو بالاحرى بعض أفرادها هم الذين صرموا جبال حياته وأفسدوا رصيده الضخم ذاك وجعلوا من ذلك المسكين طعمة للالم وفريسة للحيرة ومثالا للذبذبة وعدم تبين الطريق .

كانوا كلهم يحبونه ، أو هكذا كانوا يزعمون . وكانوا يعطفون عليه ويردعون عنه الاضرار أو يتظاهرون بذلك كلما رأوه معرضا للاخطار وكثيرا ما تعرض ، فجعل يمعن النظر ويتفحص ويدرس تصرفات كل منهم بفكره الفتى الثاقب وعاطفته الشابة القوية وقلة تجربته الضارة وعدم حكمته الطبيعية لسنه .

وبرز بعض أولئك الاقارب وفاق الجميع بما تميز به من حكمة ودراية ، وذكاء وإرادة ، ومثابرة وتصميم . برز فاستقطب الانظار استجلب الانتباه حتى نال حب اليتيم وعطفه وتمتع بثقته ووفائه واعترافه . ففرح بأن يكون عليه وصيا وله وليا وعلى ما تركه له الراحلون حارسا وفيا .

وتنصب الولي على عرش وصايته أو الوصى على عرش ولايته ناسيا أو متناسيا واجبات الوصاية وحدودها محاولا الباسها مفهوما جديدا واعطائها شكلا فريدا ، فأخذ يتصرف فى رصيد اليتيم مثلما حلا له التصرف ، وينظم له حياته كما طاب له أن ينظم ، ويقيد له خطواته كلما عن له أن يقيد ، ويحاول أن يوجه تفكيره وعواطفه كلما سنحت الفرصة بذلك .

لم يكن كل هذا ليطمئن اليتيم على مصيره أو يريح باله على مستقبله ؛ فقلق واحتار ، وغضب وثار ، خاصة عندما رأى حول الوصى أقرباء لم



يعرفهم من قبل ، وأهالى لم يسمع بهم أبدا ، لا تعلق وجوههم سوى علامات النفاق والتعلق ، والطمع ، والجشع ، والانحطاط والخساسة ، مازجين كل ذلك بجرأة نادرة ولياقة منقطعة النظير .

لم يكن خافيا على اليتيم المسكين شئ مما يدور حوله أو يحاك له باضمار واصرار ، أو بجهل أو استهتار ، فهو ذكى بالفطرة ، فطن نبهة بالسليقة ولم تبخل عليه أيام اليتيم بشئ من التجربة والحبرة . كان يرى ويلاحظ ويفهم ويفقه فيغضب ويثور ثم يهدأ وينتظر فى صبر حكيم . وكثيرا ما بدت تلك الحالات مناسبة لاولئك الاهل والاقارب الذين لم يفلحوا فى الحصول على الوصاية فيتهافتون على اليتيم يدللون ويتقربون ثم يشرحون له وضعه ويحللون وينتقدون الوصى ويذمون ، ويشيرون عليه وينصحون . وطبعا ليس سوى الوصاية من وراء ذلك ييغون ؛ فهم - حسب دعواهم - أقدر على ادراستها وأوفى فى تسييرها وأخلص فى المحافظة على الرصيد وضمان مستقبل اليتيم .

كل هذا كان يزيد فى حيرة اليتيم وقلقه ، ويغمره بشتى الاستفسارات وعديد التساؤلات . كان هذا التضارب والتناحر والتسابق بين أهله وأقاربه من أجل الوصاية عليه ، وحماية مصيره - حسب دعواهم - يحدث لذلك المسكين صدمة نفسية ويعرضه لحيرة واضطراب مزعجين .

كانت تعتريه نوبات وأزمات ، فيثور ويغضب ، ويصيح ويصخب ، ثم يسكن ويهدأ ، ويتحمل ويصبر . كان يحاول الفهم فلا يستطيع ، ويبحث عن حل فلا يجده ، ويأمل تسوية فلا يراها . وتزداد الامور لديه اشكالا ، وتتضاعف تعقيدا ، وتختلط عليه المفاهيم ، ويمتزج المعقول بغير المعقول ، ويضيع الصالح فى الطالح ، ويندمج الواضح بالمبهم دون ان يجد من أمره مخرجا .

ينظر الى الوصى فيتساءل عن مدى حبه له وعمله من أجل صالحه ، وهل كان محقا فى اعتقاده اخلاص ذلك الوصى له وغيرته عليه ؟ وان كذلك ، فهل هو اليوم غيره بالامس ولماذا ؟ واولئك الراكضون حول الوصى ، لماذا لم يعرفهم ولم يرههم من قبل ؟ فمن أين أتوا وماذا ييغون ؟ أحقا صلاحه وفائدته يريدون ؟



وهؤلاء المتحجبون وله متوددون ، فالى أى هدف يا ترى يرمون ؟ انهم يحاولون اقناعه بوجوب العمل على تغيير الوصى وابداله بآخر ، منهم طبعاً . فهل هم حقاً صادقون فيما يقولون ؟ أم لهم من وراء كل ذلك مطمح ومطمح ؟ وما هو مطمحهم يا ترى والى أية غاية يطمحون ؟

وتمر الايام واليتيم المسكين كالقصبه فى مهب الريح ، تستوى حيناً وتميل أحياناً . فما يميل الى الاخذ برأى حتى تتزاحم آراء وأفكار كثيرة أخرى فى رأسه فيقف بين التصميم والتردد معدوم القوى ، فاقد الارادة فلا يخطو أية خطوة نحو أى اتجاه .

كان - وهو يجتاز تلك الازمات والنوبات - يشتد به الغضب فيود لو استطاع بقبضة واحدة أن يمسك بكل أولئك المتسببين فى حيرته وقلته وعدم اطمئنانه ويرمى بهم بعيداً حيث لا يعود لرؤيتهم أبداً . الا أن قلبه الطيب الحنون وسلامة نيته وحيرة نفسه سرعان ما تهدى ، من ثورته وانتفاضته فيعود الى هدوئه المعهود ورصانته وتبصره اللذين امتاز وتميز بهما فيندم عن مجرد التفكير فى ذلك ويستسلم لاحلام جميلة لذيفة كثيراً ما كانت تداعبه من حين لحين ، فيرى نفسه راشداً بالغاً أشده ، متطوراً ناضجاً يعمل فكره ، قويا سليماً يجد لصالحه ، يقضى حياته رافلاً فى ثمار عمله ونتاج رصيد السالفين من ذويه وينعم بعيش ملؤه السلام والعدالة والحب . حب عظيم شامل يغمره وكل أهله ومواطنيه ، فيجعل منهم اخوة طيبة قلوبهم ، لينة ألسنتهم ، مبسوطة أيديهم ، يتعاونون على البر والتحابب ويتآزرون على التقوى والتوادر وتتظافر جهودهم على التقارب والتلاحم فيبنون جميعاً حياة جديدة أساسها العقل وقوامها الحب وتاجها العلم والحكمة . وتدور عجلة حياته اليومية الواقعية فتأتى فى لفها ودورانها على تلك الاحلام الذيدة وتعود به الى دوامته اليومية وترجعه الى خضم الزوبعة العاصفة والحيرة المقلقة والشك القاتل والقصور الهدام الناتج عن وضعه المؤلم المحزن .

ومما كان يتميز به هو أنه كان يكن للصداقة نوعاً من القداسة وللجوار شيئاً أشبه بالتقدير والاحترام . فالصداقة لديه عروة مقدسة والجوار مفهومه رابطة مكرمة وكلاهما مصان من غائلات الزمان وتقلباته وفى مأمن من تأثيرات أية ظروف أو ملاسبات . الا ان الذى كان يخدش حساسية نفسه ورقة روحه

هو أن يرى أصحابه غير مباليين ولا مكترئين بما يتخبط فيه من حيرة وما يعانيه من تعب وما يقاسيه من شقاء وعذاب ، مبددين نحوه برودة واعراضا ليسا من شيم الصداقة ولا من خصال الصديق . أما جيرانه فكان يرى في أعينهم نوعا من الشماتة ، ويلاحظ في تصرفاتهم معه وعلاقاتهم مع وصيه شيئا من التربص والانتظار ، فيعتريه الخوف والقلق ويغطي عليه عدم الاطمئنان . كان يظن أن سيكون له دوما في أصدقائه عون وفي جيرانه سند فيستطيع بمساعدتهم أن يتغلب على الصعاب وأن يجابه الاحداث والدسائس والازمات بشجاعة وقوة يستمدهما من نفسه ويتزودهما من أصدقائه وجيرانه الا ان الواقع الاليم اثبت له عكس ذلك فزاد في شقاء نفسه وعذابها . كانت نفسه تتعذب وقلبه يبكي وفكره يجهد كيانه في صراع مستمر وكفاح متواصل وسط حيرة غامضة وقلق كثيف .

وكان كلما اشتدت به الازمة واحتدت العاصفة وغرقت نفسه في القلق ، وتاه فكره في خضم الحيرة والبحث عن وجهة وموقف ، بدافع الى العزلة وبرغبة في الانفراد يجدهما وسط الطبيعة حيث ينزوى ممتعا النظر بجمالها الفتان ومروضا النفس بروعتها الساحرة . هناك - وبعيدا عن كل ما يذكره بآلامه وأحزانه ووضع - يقضي الاوقات الطويلة غارقا في التأمل مشبعا النفس بما في الطبيعة من هدوء وسكون ومغزيا الروح بما يملأ الاجواء حوله من الحان وأغاريذ .

وذاث يوم - وبينما هو في عزلته - اذ مر به شيخ عليه غبار الحياة وعلى وجهه آثار الدهر وتجاربه يمشى متكئا على عصي كأنه يحملها ثقل أيامه . مر ذلك الشيخ باليتيم فلم يخف عليه ما يعانيه من ألم ، وما هو فيه من اضطراب وحيرة ، فنظر اليه نظرة حملها كل ما في قلبه المسن من حنان وعطف ، وهز رأسه في حركة بطيئة عبر بها عن فهمه وإدراكه ، وتابع سيره البطيء الثقيل جارا قدميه ومن ورائهما عمره الطويل وأيامه العديدة .

الا ان شيئا في ذلك اليتيم قد شده اليه فلم يبتعد كثيرا ، اذ توقف بعد خطوات ليلتفت الى الشاب ويسأله عن أسباب حزنه ودوافع عزلته ، فحاول اليتيم نكران الحقيقة الا ان الشيخ قاطعه مقنعا اياه بعدم الحاجة الى الكتمان أو الدوران فكل ما يبدو عليه لم يكن ليخفى على شيخ مثله .

ورأى اليتيم فى ملامح ذلك الشيخ ونظراته ما ينبىء بطيبته ، وما يطمئن لمصارحته والانفتاح اليه . فقص عليه كل حياته ووصف له جميع ظروفها وملابساتها مدققا ما يحاك حوله من دسائس وما يجرى من صراع وكل ما يكتسى ذلك ن غموض وإبهام .

استمع اليه الشيخ بكل انتباه ، واستوعب عباراته بكل ما حوته من حقيقة ومرارة ، دون ان ينبس ببنت شفة ، مكتفيا باللعب بعصاه راسما بها فوق الارض خطوطا وحلقات كأنها تسجيل لكل ما استمع اليه .

ولما انتهى اليتيم من سرد حكايته ووصف حياته وأوضاعه ، تقدم منه الشيخ وفى حركة فتية ، كلها عزيمة وثبات ، مد له يده وشده من ذراعه فأوقفه ، ثم نظر مليا فى عينيه وقال :

«انهض وخذ حياتك غلابا . واعلم انه كيفما تكن يول عليك ، ولا حياة ان لم تعمل لنفسك بنفسك ، فما حك جلدك مثل ظفرك . وما الاقارب والاهل فى الحياة سوى زينة ، وما الاحباب والاصحاب الا لهو ولعب . فانزل بنى الى الحلبة متى استطعت ، وخذ لجام أمورك بحزم وحكمة . واعلم انه ما ضاع حق وراءه طالب ، وانك ان قعدت داستك عجلة الحياة وسحقك طاحونة الدهر . فاعمل ، ولا تنس أن الشر ، من البشر ثلثاه . فكن لنا صلبا ، آخذا معطاء ، لطيفا لذاعا ، وفى يدك الشدة والرخاوة ، وفى قلبك الايمان والحب ، فهما نور الطريق وأساس النجاح فى الدانية ، ومشعل الهدى وضمان الفلاح فى الآخرة » .

قال ذلك ، وضرب الارض بعصاه وابتعد خطوات ليقف ثانية ويلتفت الى اليتيم الواقف كالمشدود ويقول له : «وتذكر دائما أنك كيفما تكن يول عليك» . ثم تابع طريقه بمشيته البطيئة المنتظمة دون أن يلتفت مرة أخرى حتى غاب وسط الطبيعة .

محمد عبد الكافي



## لقاء مع محمد الباردى

مر بى دون أن يتفطن الى وجودى . كان غارسا أنظاره فى الارض يفكر فى شىء ما ويهرول فى مشيته . سحبته من أفكاره عندما أدركته من الخلف وسألته عن حاله. أجاب بتلك العبارات التى يستعملها الانسان للعادة حتى وإن كان يفكر بعكسها . ولم يكن فى حاجة الى إطالة الحديث كثيرا . كان بتمركزه وراء نظاراته وبعبارته المقتضبة قد أكد لى فكرة القنفذ الذى يحتمى بأشواكه متجنباً الآخرين . لم تكن هذه المرة الاولى التى نلتقى فيها ونتحدث ورغم أن ما يجمعنا هو شعور مشترك بالانتماء الى نفس الجيل الادبى ، إلا أن الزمالة التى قربتنا جاءت من كتابة القصة ومن الشعور بنفس الهموم الادبية .

عندما التقينا من جديد كنا فى ركن ما من مقهى شبه خال . وانطلق الحديث عن هذه المدينة القرية التى انقلب مظهرها الاقتصادى والاجتماعى بعد بضع سنوات لمجرد أن مصيرها قد ارتبط بالقطب الصناعى الذى يتضخم كل يوم فى جنبها كالسرطان . عاد بنا الحديث الى المدينة العتيقة التى غاصت أحيائها الشعبية فى النسيان وراء تلك الشوارع التى ارتفعت فيها البنايات ذات الطوابق المتعددة . كانت كلماته عن أحياء المدينة العتيقة تحمل الكثير من الحنين الى ذلك الجانب الشعبى من حياة هذه المدينة .

بشكل من الاشكال كان يجب أن نعود للحديث عن القصة . سألته بكل تقليدية عن قصصه الاولى . ومدى ما تعكسه من تأثر بالآخرين . لم يحاول أن يوهمنى أنه كتلك الشجرة التى تتفطن الى وجودها عندما تشتد أغصانها وليس قبل ذلك . تشعب بنا الحديث عن محمود المسعدى ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وحنا مينه . وكما يحدث عندما يلتقى شخصان يهتمان بالادب فقد نصبنا محكمة لكتابات العديد من القصاصين من خلال ما تحمله ذاكرة كل منا . وكان يجب أن يعود الوعى بنا الحديث الى أشياء أخرى أكثر حضورا فى واقعنا من القصة . تحدثنا عن تجربة « التجمع الادبى » الذى كان من أبرز المتحمسين له فى بداية الصيف باعتباره تجربة تمكين بعض المهتمين بالكتابة الادبية من تمويل طبع كتاباتهم . وكأى سحابة صيف لم تتسكك تلك التجربة وراءها أثرا إذ إن



المشروع كأكثر الأفكار التى تراود الكتاب تتفتت عندما تصطدم بالواقع ومصاعب تجسيم الأفكار فى شكل مشاريع تجارية .

عندما سألته عن كيفية الكتابة عنده. حاول أن يفهمنى أنه لا يضيق كثيرا على نفسه فى هذا المجال ، كما أنه لا يلزم نفسه بوقت معين أو بعدد معين من الصفحات فما يفعله أقرب ما يكون بداية الهواة إذ إن القصة القصيرة عادة ما تتجسم لديه دفعة واحدة من خلال جلسة أو جلستين للكتابة . ولكن التجربة أصبحت أكثر ثراء عندما شرع فى كتابة الرواية وعندها اكتشف أن ما هو أكثر صعوبة من غيره هو التخلص من التسجيلية خاصة عندما يشعر الكاتب أن إحدى الشخصيات أو بعض المواقف تشده جانبا ينأى به عن السياق العام ، وعندها يكون فى حاجة الى فرض الرقابة على البعض من أفكاره .

وطبعا قادنا الحديث عن الكتابة الى الحديث عن النشر وكانت تجربته الشخصية تمثل مغامرة مالية قد لا يتحملها الكاتب دائما بنفس رباطة الجأش حتى وإن كان استاذًا . إذ ماذا تعنى إمكانيات الاستاذ المادية فى النهاية ؟ خاصة إذا كان بعائلة وبراءه وفى حاجة الى أكثر من الكلمات لكى يقتات . ورغم أن مغامرة النشر قد تخبىء فى يوم ما مفاجأة مفرجة للكاتب إذ قد يحدث أن يصادر كتابه دون أى تعويض أو ضمان الا أن هذه الرواية الاولى التى نشرها ( مدينة الشمس الدافئة ) قد وزعت بامكانيات الكاتب الشخصية فى حدود تضمن له استرجاع رأسماله . وقد يعيد طبعها للحد من الاخطاء التى جاءت فى الطبعة الاولى .

عندما تحدثنا عن النقد والتعريفات النقدية لم يطل الحديث كثيرا إذ يمكن للكاتب دائما أن يكتب اما النقد فيأتى فى مرحلة ثانية . أما هو فلا يحس بالرغبة فى التوغل فى هذه المصطلحات التى أصبحت تتكاثر اليوم كالفقاع لكى تعيد صياغة مفاهيم لا تكتسى دائما نفس الجدة والطرافة التى يسعى أصحابها الى وضعها فيها .

ماذا يعنى توظيف الاسطورة بالنسبة اليه فى نطاق القصة ؟...

أحيى السؤال فى أعماق عينيه من وراء نظارتيه اهتماما ، وعدنا الى كل تلك القصص القصيرة التى كتبها وكيف ان الاسطورة اصبحت فى تلك التى كتبها فى المرحلة الاخيرة تحمل شفرة الكلمات التى لا يمكن ان تعلن فوق السطوح وتجمع الوضعيات التى تحتاج الى الكثير من الكلمات ... هكذا عدنا الى هذه المدينة التى رفع العم جابر الاسوار حولها فى يوم ما لكى يفرض فيها النظام والحرية ويسيطر على موارد الانتاج فيها ولكن عندما امتدت يد ما فى يوم ما تحت تأثير الجوع لكى تسرق عنقودا من عنب العم جابر انقلبت المدينة وتحركت من مكانها من أعلى الجبل الى المنطقة التى تغمرها المياه فى كل سنة...

ورغم ان الاساطير تمتاز بنهايات سعيدة الا ان هذه لم تنته من خلال حديثنا اذ ان ظلما كان قد اشرف على الطاولة التى نجلس اليها لكى يطلب منا بطاقة التعريف القومية . وكما يحدث عندما تقع حملات التفتيش الدورية كان يجب ان يبحث كل منا عن بطاقة تعريفه القومية .. ولكى يكتسب الحديث صبغة العقدة التى تحتاج اليها القصة كان الزميل القصاص قد خرج من منزله دون ان يصحب أوراقه وقد يكون الموقف محرجا الى حد ما ولكنه قال للقبعة التى كانت تعلو عينين تمحصانه انه قد نسي أوراقه بنفس الصوت الذى كان يحدثنى به عن مدينة العم جابر . سأله صوت صارم يصدر عن شفتين تقعان تحت العينين اللتين تتفحصانه عن مهنته . أجابه انه يعمل أستاذًا بالمعهد الثانوى وانه من أحد أحياء هذه المدينة الاعتق من غيرها وانه لم يكن فى يوم ما فى حاجة الى ان يسأل عن هويته فى مدينته هذه . قالت له القبعة انه لمجرد التثبت يجب ان يذهب معهم الى المركز ... شهادتى لم تكن كافية .

لم يكن من عادتى ان اجلس فى مقاهى هذه المدينة لان أولئك الذين يمكن ان أتحدث اليهم كانوا يتجنبون الجلوس فيها وكانت فرصة لكى أفهم لماذا يحدث ذلك ... فى ذلك المساء عدت الى قراءة قصة « مدينة العم جابر » مرة أخرى . وقبلها كنت قد قرأت . أجوبة محمد باردى عن الاسئلة التى سلمتها له قبل جلستنا تلك والتى أجاب عنها بنفس الشكل الذى كان يتحدث به فى المقهى أى بكثير من العفوية ودون أى ادعاء .

I - س : ماذا يمكن ان يعرف الناس عنك ؟

ج : لعله من الصعب ان يصبح المرء موضوع كلامه ومع ذلك سأحاول ان أحدد بعض الملامح الكبرى فى حياتى الشخصية . فأنا من جيل عندما بدأ يدرك لم ير الا بعض الآثار القليلة للحضور الاستعماري . فما أزال أذكر وجه المعلم الفرنسى الوحيد الذى وجدته فى مدرستى الابتدائية وسرعان ما أفل هذا الوجه . وذات يوم وجدتني رفقة والدى فى ساحة المدينة وسط خليط من الشعب قد هاج ولا أذكر شيئا غير ذلك . ولما كبرت الآن أيقنت انى عشت بحسبى الطفولى شيئا من المعركة بين زعماء الاستقلال .

أنا اذن من جيل فتح عينيه على الاستقلال عندما بدأ يدرك متاعب الدنيا فقد ولدت فى اعقاب النصف الاول من هذا القرن ( 17 فيفري 1947 ) من عائلة فقيرة . كان والدى فلاحا ولا يزال رغم دنوه من الشيخوخة يقهر الارض بساعده ولكنها كانت دائما معه شحيحة قاسية ، فكنت انا حلمه الاكبر والوحيد . اعطاني كل شيء بعد ما حرمته الحياة من كل شيء حتى من اطفاله الصغار الذين يختطفهم الموت عنوة فلم يبق لي الا اختا . عشت فى حيننا الشعبى الذى تحيط به الواحة وقد كان حيننا يسكنه الفلاحون وبعض الموظفين الصغار والتجار . التحقت بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية فى المدينة وفى سنة 1967 التحقت بكلية الآداب حيث تخرجت منها استاذاً مجازاً سنة 1970 . وسرعان ما انغمست فى حياتى المهنية وقد كان الامر بالنسبة لى قدرا . ثم راودتني فكرة مواصلة الدراسة ، ففى مدينة قفصة اعددت شهادة الكفاءة ( 1972 ) فى شيء من الصعوبة ثم انقطعت من جديد لأغوص فى حياتى الاجتماعية . ثم عاودنى هاجس الدراسة فمن مدينة قابس طفقت أتابع على بعد شهادة البحوث العميقة ( منذ سنة 1979 ) وها أنا هذه السنة ( 1982 ) استعد لتقديم بحثى وعنوانه « شخص المثقف فى الرواية العربية المعاصرة : صور ومواقف » .

2 - س : منذ سنة 1978 توقف نشر قصصك القصيرة . هل كان ذلك لاجل التفرغ لكتابة الرواية أم هى ازمة النشر ؟

ج : فعلا بدأت حياتى الادبية سنة 1968 حيث نشرت محاولتى الاولى « قبلة على فم السراب » . فى مجلة « الفكر » . وظلت أنشر القصص القصيرة



الى سنة 1978 . فكتبت فى هذه العشرية حوالى عشرين قصة وقد تخللتها فترة انقطاع منذ هذه السنة لم أكتب الا قصة قصيرة وحيدة لماذا ؟

لعلني لا أبالغ اذا قلت انه أحيانا تنتابني حالة صمت غريبة فأحس اني لا أجد مواضيع قصصى . وقد عودت نفسى على ألا أبحث عن هذه المواضيع وألهث وراءها فلست عالم اجتماع . ومن ناحية أخرى بدأت ادرك ان هذه القصص لم تعد تحملنى ففكرت فى الرواية اذ شرعت فى تأليف روايتي الاولى « الملاح والسفينة » التى هى الآن تحت الطبع . ثم لما انهيتها شرعت فى كتابة روايتي الثانية « مدينة الشمس الدافئة » وقد صدرت ولكن القضية تظل قضية ازمة فى النشر : فالمؤلف الذى تنشر له دار نشر اثرا واحدا يعتبر محظوظا وانا لم يسعفنى هذا الحظ فقصصى القصيرة هى الآن متناثرة فى صفحات بعض المجلات ولم أفكر فى جمعها .

3 - س : تجربتك فى ميدان التنشيط الثقافى تمتد على عدة سنوات فى نطاق مدينة قابس سواء أكان ذلك فى « نادى أحياء المكتبة » أو فى المهرجان الصيفى لهذه المدينة . كيف يتراءى لك التنشيط الثقافى الادبى ؟

ج : منذ سنة 1973 دخلت ميدان التنشيط الثقافى الذى أخذ الشىء الكثير من وقتى فبدأت بنادى السينما ثم فى نطاق جمعية أحياء المكتبة العامة . وفى النهاية ضمن بعض أنشطة اللجنة الثقافية الجهوية . وقد لاحظت ان التنشيط الثقافى أمر عسير ولا سيما فى الميدان الادبى . فالوسائل السمعية البصرية غزت شبابنا وأصبح الكتاب الادبى أداة نفعية لا يلتجئ اليها الانسان الا لحاجة علمية ظرفية . كما أضيف الى ذلك دور التحولات الاجتماعية التى يمر بها شعبنا والتى تحتم على الاديب بعض الاختيارات الاساسية على الصعيد الفكرى وهذا لا يكون الا اذا توفر حد أدنى من الحريات الاساسية وهو شرط أساسى لضمان تنشيط ثقافى سليم فى شتى الميادين ومنها الادب .

4 - س : صدرت روايتك « مدينة الشمس الدافئة » عن دار نشر خاصة وعلى حسابك الخاص .. ماذا تركت لك هذه التجربة من ملاحظات حول قطاع النشر فى تونس ؟



ج : عندما اتصلت بأول ناشر رحب بروايتي « الملاح والسفينة » وكتب الي رسائل مشيدا بهذا العمل الادبي ووعدني باصدارها في أسرع وقت وانتظرت سنتين بدون طائل . وفي الاثناء كان علمي الثاني جاهزا ففكرت في مغامرتي الاولى ولكنني أدركت انه اذا كان في الامكان حرمان النفس وحرمان الاسرة من بعض حاجياتها فانه من الصعب ترويح هذا المنشور بصفة طبيعية . فيصبح المؤلف ناشرا وموزعا وبالتالي تاجرا وهو أمر لا استطيعه . لكن طبيعة النشر الفاسدة في بلادنا التي لا تحترم حقوق المؤلف تجعلني أواصل المغامرة التي ستظل رهينة المناخ السياسي في بلادنا .

5 - س : هل تعتقد في غياب القارئ التونسي ؟

ج : هل ان القارئ التونسي غائب ؟.. في الحقيقة لا أومن بهذه الفكرة كثيرا فسنوات الاستقلال خلقت لنا جمهورا عريضا من القراء . لكن القارئ التونسي لا يبحث عن كتابه بل يجب ان نوصل اليه الكتاب . فلعله من الضروري اعادة النظر في قنوات التوزيع ؟ ومع ذلك يمكن القول أن الكتاب التونسي لا يقرأ كثيرا فهناك تهافت على المؤلفات العربية الاخرى . فعلينا ان نناضل من أجل قارئ يؤمن بالكتاب التونسي والفكر التونسي .

6 - س : الادب منذ أبي حيان التوحيدي مهنة الشؤم . واليوم كيف هو عندما اقترن بالتعليم ؟

ج : ان يقترن الادب بالتعليم فتلك مصيبة اذ يصبح صاحب الاهتمامات الادبية مجرد آلة يعيد في كل سنة نفسه بصفة مزرية ففي كل سنة نفس الصيغ والعبارات يجتر ما يلقيه اجترارا مقيتا وما يزيد الامر خطورة طبيعة البرامج الدراسية في التعليم الثانوي وهي طبيعة تمنع كل خروج عن المقررات الرسمية وتجبر على التعامل مع الاثر الادبي من وجهة نظر معينة تقتل كل اجتهاد وكل محاولة تثوير للنصوص الادبية .

7 - س : كيف ترى وضع القصة في العالم العربي وفي تونس على وجه الخصوص ؟

ج : تشهد القصة العربية المعاصرة ازدهارا لافتا للنظر وقد برزت آثار أكاد أقول انها رائعة تعكس الى حد بعيد ضمير مجتمعنا الذي يبحث عن هويته.

وانى اهتم بالخصوص بالقصة العراقية والسورية . اما القصة التونسية فهى لا شك تساهم مساهمة فعالة فى اثراء الرصيد الروائى العربى . لكنى مع ذلك ألاحظ انها (القصة القصيرة بالخصوص) من وقت ما اغرقت فى مشكلية الشكل ، وهى الآن عندما خرجت منها لا تزال تطرح القضايا الفكرية طرحا ضبابيا . والقصة السياسية بالخصوص التى تزدهر الآن فى المشرق لا تزال محتشمة عندنا .

8 - س : من خلال قصصك القصيرة ( أفكار عن سبتمبر ، انتظار الرجل الحزين ، نحن والزمن المنفى ، ثرثرة اغسطس .. ) تبرز شخصيات مثل شخصية الاستاذ وتكون مركزية فى تطوير احداث القصة . هل يمكن ان يفهم من ذلك تأثير المهنة على كتاباتك ؟ وهل تؤمن بالجانب الذاتى فى تجربة الكتابة ؟.

ج - : انى اعتقد اعتقادا راسخا ان الابداع الفنى لا يتم الا اذا كانت له بعض الاسباب الذاتية تربطه بالواقع الموضوعى . فالقصص لا يمكن ان يكون عالما اجتماعيا يدرس ويحلل . لذلك وجدت نفسى لا اهتم الا بمواضيع عايشتها عن قرب أو من بعيد . فتجد القضايا التى ترتبط بمهنتى اهتماما خاصا . وفعلا تكاد تكون القصص التى ذكرتها تجسيما لبعض الوقائع التى ربطنى بها أكثر من سبب .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

9 - س : فى قصتك القصيرة « قبلة على فم السراب » تبدو ثنائية « الحلم / الانجاز » قريبة من رغبة غيلان فى « السد » لمحمود المسعدى . وفى قصة « أبى والحصار » تكون غيبة الأب أقرب ما تكون من حضور / غيبة الجبلأوى فى « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ . هذا الجانب الذهنى فى قصصك يختفى لكى يترك المجال للجانب الاجتماعى بعد ذلك . هل كان ذلك نهاية التأثير بالمطالعات ؟

ج - : انى اعترف لك بكل صدق ان قصصى الاولى كانت نتيجة قراءاتى الروائية ففى « قبلة على فم السراب » يبدو أثر محمود المسعدى واضحا وفى « انتظرينى ... » أبدو كذلك متأثرا بتوفيق الحكيم . ولكن شيئا فشيئا بدأت أتححر من هذه القراءات . اعتقد انى فى محاولتى الاخيرة قد وصلت الى هذه الغاية التى لم أبلغها الا بعد ان اصبحت أفكر تفكيراً ملحاً فى الربط بين الشكل الذى اختاره ووظيفته وخاصة بعدما ألحت على القضايا الاجتماعية التى تطرح على مجتمعنا .

IO - س : يلاحظ فى قصصك القصيرة قصرها النسبى وانبنائها على الحادثة المتفردة أو الوضعية المتأزمة . ما هو تعريفك للقصة القصيرة ؟ وما هى مميزاتها فى نظرك ؟.

ج : لقد بدأت محاولتى الادبية بالشعر لكننى فشلت فانتقلت الى القصة القصيرة لأعرض فشلى فكانت قصصى وخاصة تلك التى أكتبها فى حالة تأثير واضح أقرب الى القصيدة . وفى أغلب الاحيان أكتب هذه القصص فى جلسة واحدة ولا أعود اليها الا عندما أعدها للنشر . وهكذا أصبحت القصة عندى « نفسا » لا غير . أخرجه مرة واحدة بعدما أمر بحالة شاعرية . وأنا لا أستطيع أن أنظر فى كتابة القصة القصيرة وأكره قراءة أى تنظير لانى اعتقد ان التجربة هى المحك . لكننى مع ذلك أستطيع أن أقول انى لا استسيغ كثيرا الاقصوصة المطولة التى تتشابك فيها الاحداث كثيرا وتتكاثر القضايا المطروحة وتصبح بمثابة التخطيط العام لرواية كاملة .

انى أعتقد ان القصة القصيرة يجب ان تعتمد أساسا على الايجاء دون اغراق فى السرد الممل أو الوصف الذى يثقل أحيانا . كما يجب أن يكون الموضوع المطروح محددا بصفة دقيقة وان تكون التقنية بليغة وموظفة فى خدمة الاحداث فى نطاق هذا الموضوع الواحد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

II - س : تسعى بعض قصصك القصيرة وكذلك روايتك « مدينة الشموس الدافئة » الى توظيف الاسطورة واعادة كتابتها ( أبى والحمار ، شجرة الليمون ، حينا والوحل والعجوز التى تصيح ، مدينة العم جابر ... ) . كيف ترى توظيف الاسطورة أو الحكاية الشعبية فى القصة ؟

ج : ان القصة تسكن فى كل بيت من بيوت احيائنا . وأنا أعيش فى حي سكانه قصاصون فالواحد منهم حتى وهو يروى لك مصيبة حدثت له يقع فى ضرب عجيب من السرد الفنى . ومن ناحية أخرى فان تراثنا زاخر بالاساطير والحرفات وقد رأيت انه من الضرورى استغلال هذا التراث . لكننى أقوم بعملية انتقائية فأنا دائما أغير الدلالة الاجتماعية والثقافية للاسطورة وكذلك أزيل منها كل النتوءات التى أرى انها لا تخدم الوظيفة . فعلى سبيل المثال استعملت فى قصة « مدينة العم جابر » الاسطورة التى تقول ان الولى أبا لبابة كان يرسل بغاله محملة بالعنب بدون حارس الى السوق فتوصل بضاعتها



وتعود . وذات يوم مد احدى يده وأخذ عنقودا فغضب أبو لبابة ودعا ربه فانقلبت المدينة وأصبحت على حافة الوادى .

فأنا أخذت هذا الهيكل الدرامى واثرته اثراء غير المدلول تماما اذ عالجت قضية الاستغلال والمسألة الديمقراطية .

فاذا كانت القصة بمفهومها الحديث دخيلة على حضارتنا فذلك لا يعنى الانبئات . فيمكن بسهولة الاستفادة من القصة الشعبية على مستوى الاشكال خاصة مع ضرورة تغيير المدلول وتوظيفه لخدمة قضايانا المعاصرة .

I2 - س : لوحظ استعمالك للرمز الموحى فى قصصك القصيرة ( قبله على فم السراب ، أبى والحمار ، الكلاب ، افلاس ، المسك بالاعصاب ، شجرة الليمون ، ومدينة العم جابر .. ) ما هو مفهومك للرمز ؟

- ج : انى أؤكد أن القصة القصيرة هى احياء وأرفض أن يصبح العمل الادبى خطابا سياسيا مباشرا . واذا اغرق فى الاحياء أحيانا فيصبح رمزا . فذلك لضرورة تقتضيها أحيانا المراقبة الذاتية ولذلك فالرمز عندى هو موقف فنى ظرفى وليس أداة تقنية . وكان هذا الموقف فى كل قصى باستثناء « قبله على فم السراب » التى اعتبرها بداية بسيطة استعملت فيها الرمز تأثرا بالمسعى لا غير .

I3 - س : تقف روايتك عند التغيرات الاجتماعية التى تبرز ضرورة التحولات الفكرية . هل ترى ان الرواية تحليل للوضع الاجتماعى أو مجرد تسجيل للاحداث ؟ ما هو تعريفك للرواية ؟

- ج : ما أردته فى روايتى « مدينة الشموس الدافئة » تحليل لوضع اجتماعى وتفسير له . ولكنى قد وقعت فى بعض الصفحات فى تسجيل الاحداث وهذا ما لم أرغب فيه كثيرا لانى اعتقد ان تسجيل الاحداث للصحافة والتاريخ . ان الادب بالنسبة لى هو موقف من الاحداث وتحليل لها . وفى التحليل يكمن الموقف . فليس على الاديب ان يبقى متفرجا ويسلم نفسه لتسجيل اذ لا موضوعية مطلقة فى الادب .

وفى الحتام أرى أن المطروح علينا فى وضعنا الراهن تكثيف الانتاج الادبى وتسجيل نشره وتوزيعه لان غزارة التأليف هى التى تمكن من بروز آثار قد تبلغ النجاح المنشود .

أحمد ممو

فابس فى 8I/II/27



## ما نشر لمحمد باردى :

### 1 - القصة القصيرة :

- 1 - قبلة على فم السراب : اكتوبر 1968 - مجلة الفكر ( 49/1/14 ) .
- 2 - انتظرينى سعاد .. : نوفمبر 1968 - مجلة الفكر ( 55/2/14 ) .
- 3 - الشيخ أحمد : جانفى 1969 - مجلة الفكر ( 62/4/14 ) .
- 4 - الكلاب : مارس 1969 - مجلة الفكر ( 44/6/14 ) .
- 5 - أبى والحمار : ماى 1969 - مجلة الفكر ( 82/8/14 ) .
- 6 - الحجرة المظلمة : أكتوبر 1969 - مجلة الفكر ( 60/1/15 ) .
- 7 - افلاس : ديسمبر 1969 - مجلة الفكر ( 32/3/15 ) .
- 8 - الاحمرة : أكتوبر 1970 - مجلة الفكر ( 80/1/16 ) .
- 9 - انتظار الرجل الحزين : أكتوبر 1972 - مجلة الفكر ( 65/1/18 ) .
- 10 - شجرة الليمون : ديسمبر 1972 - مجلة الفكر ( 78/3/18 ) .
- 11 - عربة اليهودى والطفل : جوان 1973 - مجلة الفكر ( 171/9/18 ) .
- 12 - أفكار عن سبتمبر : أكتوبر 1974 - مجلة الفكر ( 87/1/20 ) .
- 13 - نحن والزمن المنفى : جوان 1975 - مجلة الفكر ( 63/9/20 ) .
- 14 - حيننا والوحل والعجوز التى تصيح : فيفرى 1976 - مجلة الفكر ( 113/5/21 ) .
- 15 - المسك بالاعصاب : فيفرى 1977 - مجلة الفكر ( 39/5/22 ) .
- 16 - ثرثرة أغسطس : اكتوبر 1977 - مجلة الفكر ( 82 / 1 / 23 ) .
- 17 - مدينة العم جابر : ديسمبر 1977 - مجلة الفكر ( 115/4/23 ) .

**ملاحظة :** للرجوع الى مجلة الفكر : ( السنة / العدد / الصفحة ) .

### 2 - الرواية القصصية :

- 1 - مدينة الشمس الدافئة : الطبعة الاولى - دار كمون بصفاقس - 1981 .
- 2 - الملاح والسفينة : فى طريق النشر عن دار الجديد .

## المحامى

نعم ، أدرى أن ما جرى لم يكن ذنبك أنت . إن أكثر ما يبعث على الضحك والقرف بالنسبة للمرأة هو أن تكون أقرب شبها بالرجل . لكن هذا لا يعنى الموافقة على قتلها ، عفوا .. لا أقصدك أنت طبعاً ، أنت لا يمكن أن تفكر بالقتل ، بل لا يمكن لامثالك حتى قتل ذبابة ، لا تهزأ منى ، النساء لا يصبحن مساويات للرجال الا عندما يقنعن بأن يصبحن ذوات صلعة ، وعلى أن يفرحن بها اذا حققت لهن المساواة فعلاً ، هذا كلام سمعته من فيلسوف أحرق ، نسيت اسمه ، ولكن حاول أن تفهمنى ، أنا مجرد محامى ، ولا شأن لى بالحكم الذى يصدر ضدك ، أنا محاميك أنت ومن حقى أن اعرف الحقيقة ، حتى اذا كنت القاتل ، عليك أن تخبرنى ، لأننى فى كل حال سأدافع عنك ، وقد قررت هذا مع نفسى ، ليس لانك أخو زوجتى ، وليس لانك صديقى ، إنما لان المهنة علمتنى أن أحتفظ بسر الوكيل حتى إن كان مجرماً ، والا خسرت مهنتى الى الابد .. أنا محامى منذ عشرين سنة ، أنت تعرف طبعاً أن هناك آلاف المجرمين والقتلة والمرتشين والسفلة والمهربين وأرباب السوق السوداء ، وأنا لست مسؤولاً عن زيادة عددهم طبعاً ، إنهم يزدادون فى كل مكان ، واذا دافعت عن واحد منهم إنما أدافع عن لقمة العيش والبقاء فى الحالة التى تعلمت البقاء فيها ، أن أشرب وأقرأ وأعتنى بدارى وزوجتى وأطفالى وأن تكون لى سيارة فارهة أفضل من هذه السيارة المعوجة ، هذا من حقى ، وسوف أحافظ على هذا كله .. المهم أن تكون مطمئناً وتعترف لى بالقصة من بدايتها ، واذا وجدت فيها ثغرة ما يمكن الدخول منها الى براءتك ، سوف تجد نفسك إن شاء الله مطلق السراح بعد اسبوع وربما أقل . صدقنى أن القاضى لن يصدق ما قلته لى فى السابق من أنك تحب النساء وانهن بالنسبة لك الحياة والسعادة ، لانك فى نظر القاضى متهم بالقتل ، وأنتك بالمعنى الجنائى ( قاتل ) لذلك أرجو أن تحكى عن السبب الذى دعاهم الى التوهم بك واتهامك بالقتل ، صحيح أنهم لم يعثروا فى البيت على أحد وأنتك كنت مسافراً الى البصرة ، وأنهم لا يصدقون أسباب السفارة رغم أدلة الدائرة والامر الوزارى الذى احتفظت

بنسخة منه » بل انهم يزدادون شكا حتى باحتفاظك بالنسخة ، ولو كان القتل رجلا ربما كانت الشكوك اضعف قوة ، لكن القتيلة ، عشيقة سابقة لك ، ونستطيع رد أقوال المدعى العام الذى ردد مرتين : أن السبب فى القتل أن العشيقة قد نفرت منك وهربت أكثر من مرة ، وأنت هددتها ثلاث مرات بالقتل ، وأنها - كما تدرى - اشتكت منك فى مركز « الباب المعظم » وقالت منذ عام واحد بأنك تريد لها الموت ، نعم ، نعم ، أنا معك أن النساء كالتفاح اذا تلامسن فسدن بسرعة ، وما زلت أذكر أنك اعتقدت يوما ما بأنها سحاقية وأنها تحب النساء . لكن هذا العذر غير ثابت وحتى إن كان حقيقيا فهو غير مهم ولا تعاقب عليه النساء ، كما أنه لن يغفر الجريمة اذا كنت أنت - لا سامح الله طبعاً - من قتلها فعلاً .. إذن أرجوك أن تعترف لى ببعض ما ترى ، وما تعرف ، ولا تجعلنى أكرر بعض الكلمات السخيفة . أنت تدرى طبعاً أن السحاقية تصبح عشيقة للنساء عندما ترى النساء غير محبوبات كثيراً . إنها تبادل الحب المعقول الصادق الذى لا يتوفر بسهولة بحب كاذب موهوم ، هذا غير مهم فى قضية مثل قضيتك ، التهمة هى القتل والمتهم فيها أنت فقط ، ولو كان هناك شخص آخر غيرك ، ربما اختلف الامر لكن التهمة ملصوقة بك وحدك .. أنت مرهق ، أنا أعرف أنك متعب ولكن ماذا أفعل ؟ المزيج فى مهنة المحاماة ، وأنا محامى منذ عشرين سنة ، هو انه ينبغي لك أن تشرب لى تتحمل الناس وعندما تسكر ، فى تلك الساعة فقط لا يعود هؤلاء الناس يحتملونك ، هل تذكر من قال كلاماً مثل هذا ؟ نعم الفلاسفة منشورون فى أرجاء العالم ، حاول أن تفهمنى يا صديقى العزيز ، أنا أريد لك الخير وأنت تعرفنى ، أنا محامى كما قلت لك ، ولم أخسر أية قضية حتى الآن ، لكنك للأسف لا تتعاون معى ، لا تساعدنى فى شىء ، النكتة تقول إن عليك أن لا تسخر أبداً من صديق بنكتة ما لم تكن تلك النكتة أفضل من الصديق ، نعم هذا مثل معروف ، لكننى لا أريد أن أرهق أعصابك بالنكات والثرثرة والموعظ والامثال والكلمات الماثورة ، فقد كانت كل حياتى نكتة ، ولم أضحك من أحد على الإطلاق ، لكنك تدفعنى الى الضحك منك ، إنك صامت دون سبب وأنا وحدى من يتكلم منذ ساعة من الزمن ، لماذا ؟ لماذا لا تريد أن تعترف لى بأنك القاتل ؟ قلت لك بأننى سأدافع عنك وأمسح عنك التهمة حتى اذا كان المقتول أخى أو ابنى ، أنا أريد لك البراءة ، والبراءة لا تأتى بالصمت ، لا تأتى بسهولة اذا لم أجد جواباً أدخل منه .. أرجوك صدقنى ، أنا معك ، لكننى لم



أقف على متهم مثلك أنت ، فأنت لست معى على الاطلاق ، ومن هنا ستخسر الجولة ، حتى تجد نفسك تحت المشنقة ، طبعا تحت المشنقة ، لماذا تستغرب ؟ ستجد نفسك تحت المشنقة لانك لا تملك ولا دليل براءة واحد ، بينما كل أدلة الجريمة إنما هى ضدك ، ضدك تماما ، على أية حال إنك تذكرنى بكلمة قرأتها لـ «صارى فالير» تقول فيها : إنى أتمتع ، إذن فأنا أحلم ، إنى أتألم ، إذن فأنا موجود ... وأنت لا تجد نفسك إلا فى الألم ، اعذرني إذن ، لن أدافع عنك ما دمت مصمما على الصمت .. والصمت فى مثل هذه القضايا يعنى بأنك القاتل . نعم ، أنت القاتل ، أنا واثق من هذا ، ورغم ذلك سأدافع عنك ، سأترافع عنك حتى أحقق لك البراءة وأثبت لك جدارتى وحسن ظنى ، أنا محامى منذ عشرين سنة ولن أخسر أية قضية جديدة ، ولن أخسر حتى هذه الدعوى الصعبة رغم أنك صامت لا تريد أن تتكلم ..

\*\*\*

فى آخر النصف الاول من الليل خرج المحامى من البار ، يهتز يمينا وشمالا ، يشهق غربا ويزفر شرقا ، وما ان رأى أول حارس فى الطريق حتى قال له :

— أنا محامى منذ عشرين سنة ، لم أخسر أية دعوى وسوف أترافع عنك حتى البراءة ... نعم أدري أن ما جرى لم يكن ذنبك أنت ، أنت مجرد حارس مسكين ، ولكن القضاة ، القضاة لن يصدقوك بسهولة، دعنى أخفف عنك بعض ما تعاني منه ، كن مطمئنا ، فأنا لم أخسر أية قضية على الاطلاق ، ولكن أرجو أن تساعدنى ، أن تحكى ما تعرفه عن الجريمة منذ الليلة الاولى حتى هذه الساعة .. كن مطمئنا ، أنا صديق لك فى هذه المحنة ..

نظر اليه الحارس وقال :

— ما شاء الله ، لا أدري لماذا يزداد عدد السكارى كل يوم ، لو كان الامر فى يدي لمنعت شرب الحمرة مهما كان الامر ، امشي بابا امشي ..

عبد الستار ناصر



## حدى

استأذن عبد النور والده فى مرافقة راجح راعى ابلهم الى البادية لقضاء بضعة أسابيع معه هناك . فأذن له بعد تردد وهمانعة فهو ما يزال فى نظره صغير السن رغم تجاوزه الحلم . والبادية صعبة قاسية لا يقدر عليها الا من ولد فيها ، ورعى الابل ليس بالعمل الهين ولا يقوى عليه الا الرجال الاشداء الذين يقدرّون على مواجهة الصعاب والمتاعب بمفردهم حيث تفرض عليهم طبيعة عملهم العيش بمعزل عن الناس معظم ايام السنة فى فيافى ونجود لا يحدها بصر تصطرع فيها الريح معظم الوقت وتكاد تغطيها كثبان الرمان ، صيفها محرق وشتاؤها مرهق .

وسر عم راجح بخروج عبد النور معه فسيكون له الانيس فى وحدته فى تلك الربوع الموحشة القصية . وعم راجح رجل هادى الطبع فيه سذاجة وطيبة يتمتع بجسم قوى سليم رغم تقدمه فى السن لم يعرف له مهنة غير رعى الابل منذ حداثته وبحكم معاشرته الطويلة وللصحراء صار خبيراً بهما لا يخفى عليه شىء من أمرهما ، وقد مضى عليه فى خدمة والد عبد النور مدة تزيد على العشر سنوات .

استهوت البادية عبد النور وتمكن حبها من قلبه ، استهوته فى قسوتها وخسوتها وتقلبها . أحبها فى طلاقتهما وتجهما ، فى وداعتها وغضبها . كما عشق الابل فهى عظيمة كالبادية وتجمع بينها وبين الانسان صفات عديدة تثور مثله وتلين ، تحب وتحقد ، تغير وتثأر تكره الضيم وتحفظ الود .

ومر شهر وعاد عبد النور الى الواحة وهو كاره وقد عزم فى نفسه على الرجوع الى البادية من جديد فى وقت قريب . ويخاطب والده فى أمر خروجه الى الصحراء للبقاء مع الابل بصورة دائمة ، ويرفض والده طلبه بشدة ، لكنه يمضى يلح عليه ويترجاه محتجا بأن عم راجح قد تقدمت به السن ولم يعد قادرا على أداء المهمة الموكولة اليه على الوجه المطاوب ، وقد آن له أن يستريح وأن يقضى ما بقى من أيامه بين أهله وأسرته فى هدوء . وأمام اصراره لم يجد والده بدا من النزول عند رغبته ، وهكذا عاد للعيش مع الابل والبادية من

جديد . كان يقوم بزيارة الواحة فى فترات متباعدة للتزود بما يحتاج اليه وكان يكثر من ترده عليها زمن الصيف حيث تكون الابل فى حاجة الى الماء .

وذات يوم قانظ من أيام فصل الربيع الذى كان يوشك على الانتهاء بينما كان جالسا فى ظل احد الكثبان والشمس آخذة فى الانحدار نحو المغيب يتطلع الى الافق الوردى والى إبله وهى تتجمع وتلتف حول أقوى الفحول فيها الذى مضى يتقدمها فى تودة نحو موقع مبيتها . وهى تفعل ذلك كل يوم من تلقاء نفسها مع بداية حلول الظلام . بينما كان جالسا على تلك الحال إذ لمح خيالا يجلله السواد يتقدم ناحيته فى خطوات واعنة متعثرة . فنهض من مجلسه وسار صوبه ليرى من يكون وإن كان فى حاجة الى مساعدة . وحين وصل اليه وقف مشدوها لا يكاد يصدق ما يرى ، صبية سمراء هيفاء فى غاية الحسن والبهاء خاطبته قائلة بصوت ضعيف مشروخ وهى تكاد تقع على الارض من فرط الاجهاد :

— اسقنى ... أعطنى شربة ماء انى أموت ...

وتهاوت على الارض . وانطلق يعدو كالمجنون وعاد بعد لحظات يحمل شنا به بعض الحليب ، وفك عقدة الوكاء وأجلس المرأة ومضى يساعدها على الشرب ، وبعد ان ارتوت واستردت أنفاسها حمدت الله وأثنت عليه ثم شرعت تقص على عبد النور حكايتها فى صوت متقطع قالت :

— أول أمس فى مثل هذه الساعة بينما كنا نجتاز سرير الرتم على مسيرة يومين من هنا فى طريقنا الى وادى سوف تأخرت عن القافلة لقضاء حاجة لى عرضت وكانت الريح قد أخذت فى العصف ، وعندما أردت اللحاق بالقافلة لم أتبين أى أثر لها وانطلقت أعدو فى الاتجاه الذى قدرت أنها سلكته ، وضللت طريقى إليها . وطفقت أصرخ وأنادى لعل أحدا يصله ندائى فيأتى الى لكن صوتى كان يضيع وسط عذيف الريح وذهبت كل محاولاتي هباء .

وبح صوتى وهدنى التعب واعترانى غم شديد ويأس قاتل . وامتلأت نفسى هلعاً .. انها المرة الاولى التى أشعر فيها بخوف حقيقى ، كيف سأقضى الليل وحيدة فى تلك الفيافي الخالية الموحشة ...؟ وكيف السبيل للحاق بأهلى وعشيرتى بوادى سوف الذى هو الغاية والهدف وبينى وبين الوصول اليه مسيرة عشرة أمم بلياليها وليس معى ماء أو طعام ولا معرفة لى بالمسالك المؤدية اليه ...؟

ومنذ مساء أول أمس وأنا اضرب فى الصحراء دون توقف لم أنم ولم أذق طعاما أو شرابا ، هذه هى حكايتى .

وأجهشت بالبكاء ، وأحس عبد النور بالعطف والشفقة عليها ودعاها الى مصاحبته الى موقع إقامته القريب من هناك قائلا فى صوت يخنقه التأثر :

- نستعودين الى أهلك إن شاء الله ، فلا تشغلى بالك ولا تحزننى وأوكلى أمرك الى الله .

وحين استقر بهما المقام قدم لها كسرة خبز وبعض التمر والحليب وجلس يتطلع اليها وهى تأكل فى شراهة ونهم . وشعر بقلبه يتفطر شفقة عليها .

وبعد أن فرغت من طعامها مسحت فمها بطرف إزارها وحمدت الله ثم قالت موجهة الخطاب الى عبد النور وفى صوتها نبرة حزن وانكسار :

- لقد بعثك الله فى طريقى حتى لا أهلك عطشا وجوعا فى متاهات هذه البيداء المخيفة .

ولاذت بالصمت برهة ثم عادت تقول :

- إنى أشعر بالتعب فلم أنم منذ أول أمس كما سبق أن قلت لك . وأجدنى غير قادرة على متابعة السهر معك ولا شك أنك تعذرنى .

قال : فعلا يجب أن تستريحى .

ونهض يسوى لها فراشا فى ظل شجرة الأثل القائمة فى سفح الكثيب .

وقامت الى الفراش بعد أن حيت عبد النور تحية المساء . وما إن ألقت برأسها على الأرض حتى استغرقت فى النوم .

وجلس يفكر فيها وفى ما سيكون من أمره متطلعا اليها حينما والى القمر الوليد والنجوم اللوامع فى السماء حينما آخر ملقيا السمع الى صوت اجتراح إبله وهو يدغدغ سكون ليل الصحراء الساكن العريض . وظل ساهرا يقلب الفكر حتى ساعة متأخرة من الليل .

وفى الصباح قام مبكرا كعادته وساق القطيع صوب المراعى وترك المرأة نائمة وكره أن يوقظها فهى متعبة وتحتاج الى مزيد من الراحة .



وعند الضحي انتبهت من نومها وقد استعادت كامل قوتها ونشاطها وجلست لحظات تفكر ثم قررت اللحاق بعبد النور الذي كان فى انتظارها وكان يعلم أنها سوف تلحق به ، وما إن أهلت عليه حتى خفق قلبه بين ضلوعه خفقات قوية متلاحقة .

وبعد أن حياها واطمأن على حالتها جاءها ببعض التمر والحليب . وطلب منها أن تحدثه عن نفسها قالت :

— إن اسمها حدي وأنها وحيدة أبويها متزوجة من قريب لها ولم يمر على زواجها غير بضعة أسابيع لم تغلق الحول السادس عشر من عمرها بعد وهى تنتسب الى قبيلة كبيرة معروفة من قبائل الطوارق التى تقيم بواى سوف طوال شهور السنة الا فصل الربيع حيث يرتحلون الى البادية طلبا للانتجاع..

ويسود بينهما الصمت فترة من الوقت ثم تلتفت اليه وتساءله إن كان لديه بعض الدقيق والماء فيرد عليها بالايجاب فتنهض لاحضار بعض الحطب الجزل . وبعد أن تحفر حفرة صغيرة فى الارض تضع الحطب فوقها وتطلب من عبد النور إيقاد النار فيه فيفعل وتساءله أن يدلها على المكان الذى به الزاد فيجيبها قائلاً:

— لقد تعودت أن أحمل شيئاً قليلاً منه على ظهر إحدى الرواحل . فربة ماء صغيرة وبعض الطعام والشئى . أما بقية الزاد والمتاع فقد دفنته فى أصل شجرة بمحط الرحال .

وتسأله :

— هل يوجد بهذه النواحي ماء ...؟

رد قائلاً :

— كلا .

قالت :

— فمن أين لك بالماء اذن ...؟

أجاب :

— بين وقت وآخر أقوم بزيارة الواحة للتزود بما احتاج اليه من ماء وطعام وغير ذلك . ويمضى لاحضار الناقة المحملة بالزاد وبد أن أناخها قال مخاطباً حدي :

— هو ذا الزاد عندك .



قالت :

- سأأخذ بعض الدقيق لأعد منه خبزة ملة .

وأطرقت لحظة تفكر ثم قالت :

- هل يوجد بالزاد سمن ...؟

- بلى .

- وتمر .

- موجود .

- حسنا سأعد لك خبزة رفيس .

- لي وحدي ...؟

ورمته بنظر خاطفة من عينيها الدعجاوين وقد افتر ثغرها عن ابتسامة فاتنة ولم تعلق على قوله بشيء ، كانت المرة الاولى التى يراها فيها تبتسم ، ما أروع ابتسامتها وما أجمل أسنانها المنتظمة التى تكاد تلمع لفرط بياضها!!

وحين توسطت الشمس كبد السماء مالا الى احدى أشجار الازال الضخمة للاحتماء بظلها من وقد الهاجرة . وجلسا يطعمان ثم ناما بضع ساعات وعندما خفت حدة الحرارة ساقا الابل الى المرعى وقضيا العشية فى الحديث عن وادى سوف والطوارق وحياتهم وتقاليدهم . وعند الغروب سارا وراء الابل الى محط الرحال حيث جلسا يتناولان طعام العشاء ويثرثران ومن يراهما على تلك الحال يحسبهما عروسين جديدين . وبعد ما فرغا من الطعام مضت حدي الى كومة الحطب القريبة من موضع الزاد وأحضرت منها حزمة وهى تقول مخاطبة عبد النور :

- أحسبك ترغب فى كأس من الشاي ، أليس كذلك ...؟

قال :

- تحسنين صنعا ، انى بحاجة فعلا الى كأس شاي ثقيل يزيل عنى ما أشعر به من صدام وتعب .

ومضيا يتبادلان الحديث ويترشفان الشاي . واستحوذت مشكلتها على الجانب الاكبر من اهتمامهما لكنهما لم يتوصلا الى قرار بشأنها : وامتد بهما السهر حتى الهريخ الاخير من الليل . وشعر عبد النور برغبة فى الاسترخاء فنهض ليعد فراشه . لكن حدي أقسمت عليه برأس أبيها ألا يفعل .

وقامت ومهدت له ، وأخذت أزارها وبسطته فى نفس الموضع الذى قضت فيه ليلتها بالامس واستقلت عليه . ولما راجعها عبد النور فى ذلك أجابته بأن الدنيا حر ، وساد بينهما الصمت . وحاول عبد النور أن ينام لكن النوم استعصى عليه ولم تنم حدي بدورها .

وبلغه صوتها الهامس :

— هل نمت ...؟

قال :

— لا .

ويسود الصمت بينهما من جديد .

وينتبه من شروده على صوت حفيف قريب منه وحين يلتفت مستطلعا رأى حدي تسعى ناحيته حبوا ثم تتمدد .

الى جانبه وهى تقول فى صوت مرتعش :

— لم أعود النوم بمفردى . إنى أخاف فهل تسمح لى بالنوم الى جوارك...؟

لم يجبها بشئ ، وانتابه إحساس غريب لم يسبق له أن عرفه من قبل حين شعر بلهيب أنفاسها يلفح وجهه وبريحها يملأ خياشيمه ، وانتفض قلبه بين ضلوعه ، وتقلصت كل عضلة فى جسده واختلط فى ذهنه كل شئ .

وهمست :

— ماذا بك ...؟ مالك صامت ...؟

قال فى صوت متلعثم :

— لا ... لا شئ ...

قالت همسا وفى صوتها رعشة :

— قل أى شئ :

وأحس بجسدها يلامس جسده ويبيدها تمتد الى وجهه تتحسس ثم تستقر على صدره العارى فى النهاية .

واشتعل جسمه نارا . إنها المرة الاولى التى يلامس فيها جسده جسده أنثى، ووجد نفسه دون وعي يأخذها بين ذراعيه فى قوة وجنون .

واختفى القمر وراء الافق وسجا الليل ، ولم يغمض لهما جفن . ومع طلوع الفجر نهضت حدي لتهى لهما إفطارا خفيفا وقام عبد النور بدوره ورغم أنه لم ينم طوال ليلتين متواليتين غير ساعات قليلة فقد كان يشعر بحيوية دافقة وبنشيط غريب كما كانت حدي بدورها بادية المرح والنشاط كعروس صبيحة ليلة دخلتها .

وحين ارتفعت الشمس قليلا سارا وراء القطيع نحو المراعى . وعند الضحى شعر عبد النور بالتعب فذب واتكأ فى ظل إحدى الاشجار ولاحظت حدي ما طرأ عليه من تغير وذبول بسبب السهر فطلبت منه أن يخلد الى الراحة والنوم بعض الوقت وستقوم برعى الابل بدلا عنه ريثما يستيقظ .

فشكر لها مبادرتها وتناول خفه فتوسده وأسلم جسده الى الارض التى مضت تهدهده بنعومتها ورطوبتها المنعشة . وشعر بخدر لذيذ يسرى فى أوصاله . وما هى الا لحظات حتى كان يغط فى نوم عميق . وبعد بضع ساعات نهض من نومه وقد استعاد نشاطه وتجددت قواه وذهب لتعويض حدي حتى تأخذ نصيبها من الراحة هى كذلك . وعند الظهر جلسا يتناولان طعام الغداء فى شهية وانشراح . وبعد ما فرغا من الاكل تمددا فى استرخاء عذب وقد غمرهما احساس بالراحة والسعادة ولم يشعرا بنفسيهما الا وقد التحما فى لقاء عاصف ملتهب .

وفى المساء بينما كانا يتهيآن للنوم قالت حدي :

– أرى أن نغير مكان مرقدنا فنجعله فى موضع يمكن أن تمر به الابل اثناء سيرها الى الرعى فى الصباح لازالة كل أثر يدل على أننا ننام فى فراش واحد . أما إن كان الجو عاصفا فقد كفيينا ذلك الامر . على أن ينقل كل واحد منا قبل ذلك فراشه الى مكان آخر بعيدا عن فراش صاحبه ولا بأس إن هو تمدد عليه لحظات حتى يبدو كأنه قضى فيه ليلته فعلا حتى اذا جاء زوجى أو أى أحد من أفراد عائلتك لم يشك فى الامر فنسلم من الشبهة ونأمن العاقبة .

واستصوب عبد النور رأيها وأقرها عليه .

ومرت الايام بهما هادئة عذبة لا يكدر صفوها شىء . ونسيت حدي أهلها أو كادت . أما عبد النور فقد كان سعيدا الى درجة أن فكره لم يعد مشغولا بأى



شئ سوى فاتنته الشابة السمراء . لقد نسى معها أهله والواحة وكل شئ حتى نفسه . لقد ملأت عليه حياته القاحلة الجرداء وأيقظت فيه رجولته الهاجعة إنها المرأة الاولى التى عرفها فى حياته وقبلها لم يكن يعرف عن المرأة شيئا ، كانت عاطفته متباعدة رغم ما يقال عن حدة عاطفة البدو . وهكذا عاشا أياما وليالى لا تحسب من عمر الزمن يكرعان من معين الحب بلا حساب حتى كان يوم .. كان الوقت ضحى وكانت حدى منهمكة فى حلب إحدى النوق بينما كان عبد النور مستغرقا فى طلاء جمل أجرب بالقار حين شاهدا مهرى يسير خبيا باتجاههما يعلوه شخص يرتدى البياض . وشعرت حدى برجفة تهز بدنها ودق قلبها فى عنف دقات سريعة متلاحقة وصاحت بعبد النور :

- أترى المهرى القادم نحونا يا عبد النور ...؟

أجابها قائلا :

- بلى إنى أراه .

قالت :

- إن كان زوجى أو أى أحد غيره من أفراد قبيلتى فايك أن تعترف له بشئ مهما حدث ، إن المهرى من مهارينا فأنا أعرف إبلنا جيدا وراكبه هو زوجى ولا ريب وسواء كان هو وغيره فالزم الهدوء أمامه وتظاهر بعدم الاهتمام ودع الامر لى .

وإن هى إلا لحظات حتى كان المهرى يقف على قيد خطوات من حدى ورفعت رأسها فى هدوء وشملت راكمه بنظرة سرعة وصاحت فى ابتهاج وكأنها فوجئت :

- من ... هلال ...؟

وأناخ هلال مطيته وترجل من عليها ، فى حين اندفعت حدى نحوه باكية مبدية فرحتها بلقائه قائلة له فى عتب هادئ :

- هل هان أمرى عليكم الى الحد الذى جعلكم تتركونى مرمية فى الحلاء كما يترك سقط المتاع ...؟

لم يجبها بشئ ووقف يتطلع اليها فى تجهم وعبوس . وتكلم فى النهاية فمضى يطرها بوابل من أسئلته ، بينما كانت هى ترد على أسئلته فى أناة وهدوء .

كان يريد أن يعرف منها كل شيء ، كل ما وقع لها منذ اللحظة التي تخلفت فيها عن الركب . وسألها عن عبد النور فقالت له إنه شاب أصيل أنقذ حياتها وأكرم وفادتها وعاملها كما يعامل الاخ أخته ، وجاء عبد النور وسلم على الرجل ورحب به .

وكان يعانى فى داخله بعض الاضطراب عمل جاهدا على اخفائه ، انه زوج حدي ولا شك فهو يرتدى لباس الطوارق ، الجبة الفضفاضة والسراويل الطويلة واللثام والعفان (I) .

كانت نظراته حادة صارمة فيها تحفز وتحدى وكان يمسك بيده غدارة ما إن وقع نظر عبد النور عليها حتى ازداد اضطرابه . لقد سبق له أن سمع عن شجاعة الطوارق وشدة بأسهم . ويقال : إن الواحد منهم اذا بلغ مبلغ الرجال تقنع ولم يرفع القناع عن وجهه بعد ذلك أبدا حتى أمام زوجته .

وتظاهر عبد النور بالهدوء واللامبالاة عملا بوصية حدي له ، وسأل الرجل عن هويته فأخبره بأنه زوج حدي وقد مر عليه أسبوع يطوى الصحراء بحثا عنها .

وعاد عبد النور للترحيب به من جديد قائلا :  
— هل لك فى قليل من الماء أو الحليب وبعض الطعام لا شك أنك جائع وضمان ..؟

فأجابه بشيء من البرود :

— لا ليس الآن .

ثم سار ودعا حدي للحاق به وحين ابتعدا مسافة كافية تجعل حديثهما لا يصل الى سمع عبد النور توقفا عن السير بينما وقف عبد النور يراقبهما عن كثب وقد عاوده قلقه وبعد وقت خاله دهرا شاهدهما يتجهان نحو محط الرحال فتنفس الصعداء . لقد سبق له أن سمع من قبل بعض الحكايات التي تتحدث عن مكر النساء وعن قدرتهن العجيبة فى التغرير بأذكى الرجال وأكثرهم فطنة وأشدهم مراسا لكنه لم يكن ليصدق تلك الاقاصيص ويعتبرها محظ خيال . ولا أصل لها من الحقيقة واخترعتها عقول بعضهم لسبب أو لآخر.

(I) خف مصنوع من الشعر .

لم يكن يصدق أن هؤلاء المخلوقات الضعيفات يمكن أن ينطوين على كل هذا المكر والدهاء . وقد تأكد لديه الآن صدق ما يتناقله الرجال عن مكائدهن وفهم المعنى الكامن وراء تلك المقولة التي طالما سمع والده يرددتها في بعض مجالسه: « النساء غلابات كل غالب » .

وعادت حدي وزوجها بعد بعض الوقت الى حيث كان عبد النور . وتقدم منه الرجل وشد على يده في حرارة شاكرا له حسن صنيعه مع امرأته بعد ما تأكد بأن أمرا مشينا لم يحدث بينه وبينها .

والتقى عبد النور نظرة جانبية خاطفة على حدي فابتسمت له وكأنها تقول له : ( كل شيء على ما يرام ) . وسار هلال الى راحلته وسرحها لترعى مع الابل بعد ما تناول من عليها نصف ضبي أعطاه لزوجته لتعد لهم منه بعض الشواء . وجلس مع عبد النور يتبادلان الحديث .

وبعد بعض الوقت جاءت حدي بالشواء ووضعت أمامهما . وحين فرغا من الأكل حملت ما بقى من اللحم وذهبت به بعيدا وجلست وراء إحدى الأشجار تأكل على عادة نساء قومها والبدو عموما حيث لا تقابل النساء الرجال على الطعام ولا يجلسن للأكل على مرأى منهم .

وفى العشي وقد أخذ النسيم يهب رخاء ذهب هلال فأحضر مطيته وأناخها استعدادا للرحيل . وجاءه عبد النور بالقربة التي كان هلال أعطاهها له ليملاها ماء كما أحضر له بعض التمر والدقيق .

وشد هلال على يد عبد النور مودعا شاكرا له حسن وفادته ثم علا ظهر نجيبته مردفا حدي خلفه ولكز بقدمه كتف مطيته وصاح بها يدعوها للنهوض :

- زع ... زع ...

وحين استوت قائمة جذب جبل الحزام وهتف بها قائلا :

- حا ... حا ...

يحثها على المسير فمضت تهوول سريعة خفيفة كأنها لا تحمل شيئا ولم تفرغ إلا منذ ساعات فقط من قطع عشرات الأميال .



وتلفتت حدي خلفها ملقية نظرة وداع أخيرة على عبد النور فى حين وقف هو يتابع الراحلة وهى تبتعد بها قليلا قليلا وكأنه يشاهد نهاية حلم جميل لم يكتمل شارد الفكر خفاق الجنان وشعور بالوحدة والفراغ يحتويه . وأحس بأنه فقد الى الأبد شيئا عزيزا عليه . وخيل اليه أنه لمح شيئا يقع من يد حدي ولم يشغله ذلك عن متابعة الراحلة وهى تبتعد الى أن اختفت عن نظريه ولم يعد يلوح فى الافق غير السراب . وتذكر ذلك الشيء الذى رآه يسقط من يد حدي فأسرع للبحث عنه وحين بلغ المكان أبصر شيئا ملقى على الارض يكاد يختفى بين الرمال . لم يخدعه نظره إذن . ومد يده والتقط ذلك الشيء ووضع فى راحته ومضى يتطلع اليه فى شبه ذهول وشعر كأن يدا قوية تعتصر قلبه بشدة وعنق . إنه عقد الند الذى كانت حدي تزين به جيدها . وقربه من أنفه وطقق يتشمم عرفه الطيب . إن به بعض ريحها . لقد ذهب حدي دون رجعة ولم يبق منها غير عقدها وريحها وذكرها .

وتنهى فى حرقه وألم وشعر بجفاف فى حلقه وبطنين فى رأسه وتهاوى على الارض وقد أجهش بالبكاء مرددا فى لوعة وأنين :

ARCHIVE

- حدي !!! حدي !!! حدي !!!

لم يذق ليلتها طعاما ولم ينام . وقضى الليل ساهرا حتى الصباح يفكر فيها وفى أحضانها الدافئة وصدرها المكتنز ، وعينيها الدعجاوين الواسعتين مستعيدا صورة زوجها بقامته القصيرة وجسمه الضامر ونظراته القاسية وبشرته السمراء التى لوحتها الشمس ، لم ير ملامح وجهه جيدا .

حتى حين اجتمعا على الطعام لم يرفع اللثام عن وجهه فقط أرخاه قليلا أتراه ذهب مقتنعا حقا بأن شيئا مريبا لم يحدث بين حدي وبينه ؟... ألا يحتمل أن يقسو عليها ويقوم بضربها فيكرها على الاعتراف بالحقيقة ؟...

إن حدث ذلك فسيكون مصيرهما الموت لا محالة . إنه العقاب الوحيد لفعلة الخيانة عندهم .

واعتراه غم شديد . وظل هذا الهاجس يلج عليه وكلما حاول إبعاده عن فكره ازداد إلحاحا عليه . وقضى الليل يقلب الامر . وفى الصباح بدلا من أن

يسوق القطيع الى المرعى مضى يسوقه باتجاه الواحة . لقد قرر العودة الى الواحة ، لم يعد يطبق البقاء فى هذه البيداء الموحشة المترامية الاطراف وحيدا دون حدي .

لم يكن يعرف معنى للوحدة من قبل . وها هى الصحراء الآن تضيق به على رحابتها . لم تعد تأسره وتستهويه وإنه ليتساءل فى دهشة واستغراب كيف هام بها فى وقت من الاوقات وتعلق بها وفضلها على الواحة وما هى غير الوحشة والفراغ والعدم .

وبلغ الواحة . وفى اليوم التالى من وصوله أخبر والده باعتزامه البقاء وعدم العودة الى البادية .

وسر والده وكذلك أمه بقراره وباركاه .

وذات يوم جلس الى أمه وفاتها برغبته فى الزواج وتهتز أمه طربا وتسرع الى أبيه تزف اليه النبا السار .

ولم تمر غير أسابيع قليلة حتى أقيمت الافراح والليالى الملاح . كانت عروسه صغيرة جميلة لونها فى لون حبات القمح ، لطيفة خجولة ، ملأت حياته بهجة ومسرة . وكان كلما انفرد بنفسه وشدد به الفكر الى تلك الربوع القصية الضاربة فى أعماق الصحراء دأبه طيف حدي فيتنهد فى عمق وردد فى همس ودون وعي كأنه يخاطب ذلك الطيف الزائر ويخاطب نفسه فى الوقت نفسه :

— كان أسبوعا لا يحسب من العمر .

وتصل كلماته الى سمع زوجته الصبية فتنزل على قلبها بردا وسلاما . وتبتسم فى سعادة غامرة وتغضى حياء معتقدة أنه يشير بذلك الى الاسبوع الاول من زواجهما .

محمد الخموسي الحناشي

1980 - 8 - 14

## الغداء

لمحتها في إحدى التمثيليات ، وبدلا من أن أدعوها بإشارة من إصبعي ، ذهبت اليها خلال فترة الاستراحة ، وجلست بجانبها . رأيتها آخر مرة منذ أمد بعيد ، وإذا لم يذكر أحد اسمها أمامي فمن الصعب أن أفكر بها ، أو أميز ملامحها . خاطبتني بصراحة :

« حسنا ... التقينا أول مرة منذ أمد بعيد ، أليس كذلك ؟ غريب كيف يمر الزمن . كلانا لم يكبر أو يتغير . أتذكر المرة الأولى التي لقيتك فيها ، ودعوتني على الغداء ؟ » .

ARCHIVE

هل أتذكر ؟

كان ذلك منذ عشرين عاما ... كنت آنذاك في باريس ، أسكن شقة صغيرة في « الحي اللاتيني » تشرف على إحدى المقابر ... وكنت أكسب من النقود ما يسد رمقي ويقيم أودي ... قرأت كتابي ، ثم كتبت لي جوابه ، فرددت أشكرها ، وفي الحال استلمت منها رسالة أخرى تقول فيها : إنها ستمر في باريس ، وترغب في أن تراني لتحديثي حديثا وديا . لكن وقتها محدود جدا ، ولحظة الفراغ الوحيدة التي تملكها يوم الخميس القادم ... ستتقضى فترة الصباح في « اللوكسمبورف » وتنتظر أن أدعوها بعد ذلك الى غداء متواضع في « الفويوتس » ، والفويوتس هو المطعم الذي يأكل فيه أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي ، وكان مستواه فوق مدخولي بكثير ، حتى اننى لم أفكر بالذهاب اليه على الاطلاق . لكننى كنت حديث السن ، يستهوينى التملق ، ولم أتعلم بعد أن أقول لسيدة كلمة « لا » ، وأضيف أن رجالا قليلين لم يتعلموا هذا الا عندما قطعوا مرحلة من العمر لا بأس بها ، كيما يتقربوا به من سيدة لها شأنها .



كان فى جيبى ثمانية فرنكات ( فرنكات ذهبية ) يجب أن تكفينى بقية الشهر ، وأى غداء متواضع لا يكلفنى أقل من خمسة عشر فرنكا ، وإذا امتنعت عن القهوة طوال الاسبوعين القادمين فأكون قد تصرفت بحكمة وحسن إدارة.

أجبت بأننى سأقابل صديقتى - اتفاقا - فى « الفويوتس » يوم الخميس القادم ، الساعة الثانية عشرة والنصف ... لم تكن فتية بالقدر الذى كنت أتوقع ... جليلة المظهر أكثر مما هى جذابة . والحقيقة أنها كانت امرأة فى الأربعين ( عمر ساحر ، ولكن ليس هنا الا من يمنى بهوى مدمر ، ويفاجأ عندما يراها لأول نظرة ) ... لقد تركت فى نفسى انطبعا غريبا ، ذلك أن لها أكثر من سن أبيض وكبير كبرا يفوق الضرورة والغاية العملية التى وجد من أجلها . كانت ثرثارة ، ولكن منذ أن تبين لى أنها تميل الى التحدث عنى ، كنت مستعدا لأن أكون مستمعا شديدا للانتباه .

ذعرت عندما جاءت نشرة الطعام لأن الاسعار كانت أعلى مما توقعت بكثير . لكنها هدأت من روعى بقولها : « أنا لا أتناول أى شىء فى الغداء عادة » .

أجبت متظاهرا بالسخاء : « لا تقولى ذلك ... - لا أتناول أكثر من شىء واحد - أظن أن الناس يأكلون كثيرا هذه الايام ... قليل من السمك ، ربما ... ترى هل عندهم من سمك حوت سليمان ؟ » .

حسنًا ، لم يزل الوقت مبكرا على سمك حوت سليمان هذا العام وهو غير موجود فى قائمة الطعام .

لكننى سأسأل النادل ما اذا كان هناك شىء منه ، دعه يأتنى بسمك ممتاز ، باعتبار أنه أول ما يقدم ... طلبت ذلك لضيقتى ، فى حين تقدم النادل وسألها ما اذا كانت تريد شيئا آخر ريثما يتم اعداد السمك .

أجابت : « كلا ... لا أتناول أكثر من صنف واحد ، الا اذا كان قليلا من الكافيار لا بأس بالكافيار » .

هبط قلبى قليلا . أعرف أننى أعجز عن تقديم الكافيار . لكننى لا أستطيع أن أقول لها ذلك تماما . أخبرت النادل بشتى الوسائل أن هات كافيارا ، أما أنا فقد اخترت لنفسى أرخص صحن من لائحة ألوان الطعام ، وكان عبارة عن قطعة لحم الغنم .

قالت : « أعتقد أنه ليس من الحكمة أن تأكل اللحم » .

« لست أدري كيف تتوقع أن تعمل بعد تناولك أشياء ثقيلة كاللحم ، لا أو من بشحن معدتي أكثر من اللازم » .

حينئذ جاء سؤال الشراب . قالت : أنا لا أشرب شيئاً على الغداء » .

أجبت على الفور : « ولا أنا اللهم الا بعض النبيذ الابيض » تقدمت بذلك مع أنني لم أتكلم . « وماذا تحبين بعد ؟ » سألت بسخاء لا تصحبه إشارة فرح أو تهليل .

رمتني بومضة براءة وودية من أسنانها البيضاء .

« طبيبي لا يسمح بأن أشرب شيئاً سوى الشمبانيا » .

تخيلت أنني انقلبت شاحب اللون ، لا قيمة لي ... طلبت نصف زجاجة... ذكرت بدون اهتمام أن طبيبي منعني منعاً باتاً من شرب الشمبانيا .

« ماذا تنوى أن تشرب إذا ؟ » .

« ماء » .

أنت على الكافيار والسمك . ثم بدأت تتحدث بحبور عن الفن والادب والموسيقى ... أما أنا فمندھش وذهني منصرف الى المبلغ الذي ستحمله الى قائمة الحساب . عندما وصلت شرحة لحم الحروف نقلتني بهدوء جدي الى العمل .

« لاحظ أن من عادتك أن تتغذى مأكولات ثقيلة ، متأكدة من أن عملك خاطيء ، لماذا لا تحذو حذوى وتأكل شيئاً واحداً فقط ؟ وأنا على يقين بأنك ستشعر بتحسن كبير عليه » .

« من الآن فصاعداً سأكتفى بشيء واحد » . قلت هذا لحظة عاد النادل ثانية ومعه قائمة الحساب .

نحته جانبا بحركة مرحة :

« كلا ، لا أتناول شيئا مع الغداء ... لقمة فقط ولا أريد أكثر من ذلك ،  
وإذا تعديت اللقمة فإن ذلك يمنعني من الحديث ... ألا تلاحظ أنني أحب  
الحديث أكثر من أى شيء آخر ؟ من المحتمل أنني لا أستطيع تناول شيء ،  
اللهم الا اذا كان بعض الليون الضخم ... متأسفة أن أترك باريس دون  
اشباع نهى من هذا اللون ... »

هبط قلبي ... رأيت الهليون فى المحلات ، أعرف أن سعره فاحش الى حد  
الخوف . وغالبا ما كان لعابى يسيل عندما ألمحه .

سألت النادل : « السيدة تريد أن تعرف ما اذا كان عندك من هذا الهليون  
الضخم . »

حاولت بكل طاقتى كى أدعه يقول « لا » ، فى حين انتشرت بسمة سعيدة  
فوق وجهه العريض الذى يشبه وجه الكاهن . أكد لى أن لديهم مقدارا كبيرا  
جدا ، فخما حتى الرعب إنه أعجوبة الموسم .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أشارت ضيفتى : « لست جائعة جدا » .. « ولكن اذا الححت لا أمانع من  
تناول الهليون » . طلبت لها ذلك . « ألا تنوى أن تأكل شيئا منه ؟ » .

« كلا ... أنا لا أكل الهليون » ... « أعرف أن ثمة أناسا لا يحبونه ، الحقيقة  
أنك تفسد ذوقك بهذا اللحم الذى تأكله » .

« انتظرنا ريثما طبخ الهليون . تملكنى الخوف . ليس السؤال الآن كم  
كان على أن استبقى لآخر الشهر بل هل معى ما يكفينى لدفع قائمة الحساب ؟ » .

ساكون ممتنا لو اقترض هذا المبلغ من ضيفتى ، لكننى لا أستطيع أن أحمل  
نفسى على فعل ذلك . أعرف بالضبط كم كان معى ، فاذا كانت قائمة الحساب  
تزيد على ما فى جيبى ، نويت أن أضع يدى فيها ، وبصرخة درامية أقفز  
وأقول : لقد سرقت ... طبعا ليس من اللياقة أن تدفع ضيفتى الحساب ، فقد



لا يكون معها نقود كافية ... الشيء الوحيد الذى يمكن أن أفعله فى مثل هذه الحال هو أن أترك ساعتى وأقول : سأعود ثانية ، ثم أدفع المبلغ أخيرا .

ظهر الهليون ضخما مبهجا ، شهيا ، رائحة الزبدة المائعة دغدغت أنفى ، كما دغدغت أنف « يهوه » احتراق ضحايا الساميين البريئة . رحت أراقب تلك المرأة الخليعة وهى تلتهم الهليون فى حلقها بلقم وشرهة ، وأتحدث بطريقتى المهذبة عن حالة المسرح فى البلقان ، وأخيرا انتهت .

قلت : « قهوة » .

أجابت : « نعم ، فقط بوظة مع قهوة » .

كنت مهتما آنذاك بما قد طلبت ، ولذلك دعوت بقهوة لنفسى ، وببوظة وقهوة لها .

قالت وهى تلتهم البوظة : « أنت تعرف أن ثمة شيئا واحدا أومن به تماما ... على المرء أن ينهض دائما عن الطعام وهو يشعر بأن هناك متسعا فى معدته لتناول المزيد » <http://Archivebeta.Sakhril.com>

سألت بصوت منخفض : « أما زلت جائعة ؟ » .

فأجابت : « آه كلا لست جائعة ، كما ترى ، إننى أهمل وجبة الغداء ، اكتفى بتناول فنجان من القهوة فى الصباح ، واستر عليه حتى العشاء ، ولكننى لا أتناول أكثر من شيء واحد على الغداء ... هذا الكلام يهيك » .

« آه هكذا لاحظ » .

ثم حدث آنذاك شيء مخيف ، اذ بينما كنا بانتظار القهوة ، أقبل رئيس الندل يحمل سلة كبيرة مملوءة بالدراق الضخم ، وعلى وجهه المزيف ابتسامة مصطنعة . بدت الدراقات كوجه فتاة بريئة اتخذت شكل منظرة ايطالية رائعة ... كان الدراق آنذاك فى غير موسمه ... والله يعلم كم كان ثمنه

وأخيرا استطعت أن أعرف - وبينما ضيفتي غارقة في حديثها ، تناولت واحدة بشكل لا شعورى وقالت : « لقد ملأت معدتك بكثير من اللحم يا صغيرى البائس ، وليس فى وسعك أن تأكل أكثر ، أما أنا فلم أتناول غير وجبة صغيرة ، لذلك سأتلذذ بوحدة من هذا الدراق الفاخر » .

جاءت قائمة الحساب ، وعندما سددت ثمنها ، وجدت أن ما بقى معى لا يكاد يكفى ثمن تذكرة السفر .. استقرت عينها على الفرنكات الثلاثة التى تركتها للنادل ، وكلى يقين بأنها أخذت عنى فكرة سيئة . عندما خرجت من المطعم ، رأيت أن الشهر بطوله ما يزال ينتظرنى ، وما من فلس فى جيبى .

وما إن تودعنا حتى قالت لى : « اقتدى بى ، ولا تأكل أكثر من شىء واحد على الغداء » . أجبت : « سأفعل ما هو أفضل من ذلك ، لن أكل شيئا على العشاء هذه الليلة » . ثم صاحت بفرح وهى تقفز الى السيارة : « إنك لمرح ... إنك لفى غاية المرح » .

لقد زلت انتقامى أخيرا... لكننى لا أعتقد بأننى شامت حقوق، عندما تتدخل الآلهة الأزلية فى القضية ، فإنه يحق لى أن أراقب النتيجة بعين الرضى ... إنها تزن الآن ما يقارب المئة والخمسين كيلو غراما .

عيسى فتوح - دمشق

## المشي في الوحل

مجموعة قصصية صدرت لعبد العزيز فاختر 125 صفحة 200، Id

إيرنيست هيمنغواي

تعريب عن الانجليزية : عبد الله فاضل فارح

## أنشودة غرام « ألبية » جلفة

كان الجو حارا أثناء تصويبنا الى الوادى ، هذا ونحن ما زلنا فى الصباح الباكر . أذابت الشمس الثلج اتجمع على الزلاجات التى كنا ننتبلها وجففت خشبها . ومع أن الفصل كان ربيعا فقد كانت الشمس حارة جدا . واصلنا سيرنا على الطريق حتى بلغنا « غالتور » ونحن ننوء بحمل زلاجاتنا وحقائب ظهورنا . وبينما كنا نجتاز فناء الكنيسة كان دفن أحد الموتى على وشك النهاية . ولما مر بنا القس وهو خارج من فناء الكنيسة ، بادرت به بالتحية قائلا : غرويس غوت ( صباحك سعيد ) ، فحنى رأسه .

قال جون : من الغريب أن القسس لا يتكلمون أبدا .

– قد تعتقد أنهم ينوون أن يردوا التحية قائلين : غرويس غوت .

قال جون : لكنهم لا يردن أبدا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

توقفنا فى الطريق نشاهد « القندلفت » وهو يجرف الطين الجديد . وكان فلاح ذو لحية سوداء وحذاء جلد طويل يقف بجانب القبر . توقف « القندلفت » عن جرف التراب ونصب ظهره واقفا . وانبرى الفلاح ذو حذاء الجلد الطويل فتناول المجرفة من « القندلفت » وواصل عملية ملء القبر بالتراب – كان يدحو التراب بطريقة منتظمة كما يفعل من يبت السجاد فى الحديقة . إن رد تراب حفرة القبر اليها فى صباح ربيعى مشرق بدا لى ضربا من منافاة الواقع . لم يعن فى خيالى امكان أن يموت أحد فى الربيع .

فقلت لجون : تخيل أنت تقبر فى يوم مثل هذا .

– لن أود ذلك .

فقلت : حسنا ، لن نضطر الى ذلك .

ثم واصلنا السير مصعدين فى الطريق ونحن نمر ببيوت المدينة حتى بلغنا النزل . كنا قد قضينا شهرا نتزلج فى السيلفريتا ، وقد شعرنا بالسعادة اذ



نزلنا الى الوادى . كان التزلج فى السيلفريتا على ما يرام ، الا أنه كان تزلجا ربيعيا ، اذ لم يكن الثلج مرضيا الا فى الصباح الباكر ، والا عند حلول المساء . أما فى بقية الوقت فقد كانت الشمس تفسده . كنا كلانا قد أملتنا وضايقتنا . اذ لم يكن من محيص منها . فلم تنتهيا الا فياء الا عند الصخور أو بجانب الكوخ المبنى بكنف صخرة عند نهر متجمد ، وفى الظل يتجمد العرق فى الملابس الداخلية . ولم يكن الجلوس خارج الكوخ بممكن بدون وقاية النظارات المعتمدة . إنه لمن الممتع أن تلوح البشرة فتبدو داكنة ، بيد أن الشمس غدت مملة جدا لا تطاق ، مع انتفاء الراحة بوجودها . ولقد سررت بوجودى فى الوادى على مبعدة من الثلج . لقد انقضى أكثر الربيع فلم يعد الوقت مناسباً للبقاء فى جبال السيلفريتا . وقد بدأ الملل من التزلج يتسلل بعض الشيء الى نفسى ، بعد أن أطلنا الإقامة . بدأت أطعم ماء الثلج الذى كنا نشربه وكأنه مما يذوب من سطح القصدير الذى يظل الكوخ . وكان ذلك المذاق جزءا مما كنت أحس به نحو التزلج . ولم يكن ليسرى عنى الا وجود أشياء أخرى الى جانب التزلج ، ولكم سعدت بنزولى الوادى مبعدا عن ربيع الجبال العالية المصطنع ، قارا فى الوادى فى صباح ( ماى ) المشرق هذا .

كان صاحب النزل يجلس فى الرواق وقد ارتكز كرسيه على قائمته الخلفيتين واستند بالجدار . وقد جلس الطباخ بجانبه .

وبادر صاحب النزل محيا : سكي - هایل ! ( مرحبا أيها المتزلجون ! ) .  
فهتفنا : هایل ( مرحبا ) وأتكانا زلاجاتنا الى الجدار ثم تحللنا عن بقية أوزارنا .

وتساءل صاحب النزل : لعل التنزه كان على ما يرام فى أعالي الجبال ؟

- شون ( لا بأس به ) . إلا أن الشمس كانت أكثر من اللازم .
- صدقت . تشتد حرارة الشمس كثيرا جدا فى هذا الوقت من السنة .
- ظل الطباخ جالسا على كرسيه . ودخل صاحب النزل معنا ففتح غرفة مكتبه وأخرج لنا بريدنا . كان عبارة عن رزمة من الرسائل وبعض الجرائد .
- قال جون : هيا الى بعض من البيرة .
- فكرة حسنة . لنشرب فى الداخل .

أحضر صاحب النزل زجاجتين شربناهما فى أثناء قراءة الرسائل .  
قال جون : لا بد من مزيد من البيرة . وأحضرتها فتاة هذه المرة . وقدمتها  
بالابتسام وهى تفتحها .

قالت : رسائل كثيرة .

- نعم . كثيرة .

قالت : بروسيت ( فى صحتكم ) ثم خرجت ، آخذة معها الزجاجتين  
المفرغتين .

- لقد كدت أنسى مذاق البيرة .

قال جون : أما أنا فلا . عندما كنا فى كوخ الجبل . ظللت أفكر فيها كثيرا .

قلت : وأخيرا حصلنا عليها الآن .

- لا يليق بالمرء ملازمة أى شىء مدة فوق ما يطاق .

لا . نحن أطلنا مدة البقاء فى الاعالى بمحض ارادتنا .

- قال جون : بل طالت فوق طاقتنا ، لعنة الله على الاطالة . لا تفيد المطاولة  
المفرطة فى أى عل يؤديه المرء .

بدأت الشمس من خلال النافذة المفتوحة ونفذت أشعتها من خلال زجاجتى  
البيرة وانطرحت على الطاولة . كانت الزجاجتان مملوئتين حتى نصفيهما .  
وكان قليل من الرغوة يطفو على البيرة فى الزجاجتين . لم تكن الرغوة كثيرة ،  
لان البيرة كانت باردة جدا . كانت تحوط القدحين المشوقين بدائرة من  
الرغوة تعلق بداخلهما عندما تصب فيهما . نظرت من خلال النافذة المفتوحة الى  
الطريق البيضاء . كانت الاشجار التى تحف بالطريق معفرة بالغبار . وفيما  
وراء الاشجار كان يمتد حقل أخضر ويجرى جدول ماء ، تحفه الاشجار وقد  
نصبت عليه منجرة وناعورة . ورأيت من خلال الجانب المفتوح من المنجرة جذع  
شجرة طويل فيه منشار يصعد ويهبط . ولم يبد لى أحد يسهر على عمل  
المنجرة . وكانت أربعة من الغربان تنزه فى الحقل الأخضر . وقد جثم غراب  
على شجرة يشهد المنظر . وفى الخارج قام الطباخ من كرسيه فى الرواق وعبر  
البهو المؤدى به للعودة الى المطبخ ، أما فى الداخل فلم يعد ضوء الشمس ليشع  
الا من خلال الكؤوس المفرغة على الطاولة . وكان جون منكبا الى الامام ورأسه  
على ساعديه .

رأيت من خلال النافذة رجلين يصعدان الدرج الامامية . دخلا غرفة الشراب . كان أحدهما الفلاح الملتحي ذا الاحذية الطويلة . أما الآخر فهو « القندلفت » . جلسا على الطاولة تحت النافذة . هرعت الفتاة ووقفت عند طاولتهما . لم يبد أن الفلاح انتبه لها . كان يجلس واضعا يديه على الطاولة . كان يرتدى ملابس العسكرية القديمة . وكانت تبدو رقع عند المرفقين .

سأل « القندلفت » : ماذا نشرب ؟ ولم يعر الفلاح السؤال أى انتباه .

— ماذا سنشرب ؟

قال الفلاح : شنابس .

فقال « القندلفت » : وربع ليترة من النبيذ الاحمر .

أحضرت الفتاة الشرابين وشرب الفلاح الشنابس . وبدأ يتطلع من النافذة و « القندلفت » يشاهده . أما جون فقد كان رأسه ساجدا على الطاولة . كان نائما .

دخل صاحب النزل الى غرفة الشراب واتجه الى الطاولة . تحدث الى « القندلفت » بلهجة المنطقة ورد عليه « القندلفت » بها . وظل الفلاح يتطلع من خلال النافذة . خرج صاحب النزل من الغرفة . وقف الفلاح قائما . أخرج من محفظة من الجلد ورقة نقد مطوية من ذوات العشرة آلاف كرون ونشرها ، فهرعت الفتاة نحوه .

سألته قائلة : أليس ؟ ( حساب الكل ؟ )

قال : أليس .

قال « القندلفت » : خل النبيذ على حسابى .

فكرر الفلاح قوله للفتاة : أليس . وأدخلت يدها فى جيب مريلتها ، وأخرجتها حافنة مجموعة من العملة المعدنية ، وعدت متبقى الحساب . وانصرف الفلاح خارجا من الباب . وبعد خروجه مباشرة عاد صاحب النزل الى الغرفة وأخذ يتحدث الى « القندلفت » . جلس لديه على الطاولة . كانا يتحادثان بلهجة المنطقة . كان « القندلفت » يتحدث متسليا . بينما كان صاحب النزل يتحدث بادى الاشمئزاز . ثم قام « القندلفت » واقفا من جانب الطاولة . كان رجلا صغير البنية وله شارب . انحنى يتطلع من النافذة وصعد نظره فى الطريق .



قال : ذاك هو يدخل .

– فى اللويين ؟

– يا . ( نعم ) .

ثم استطرذا فى حديثهما ، وجاء صاحب النزل الى طاولتنا فيما بعد . كان صاحب النزل عجوزا طويل القامة . نظر الى جون النائم .

– يبدو أنه متعب نوعا ما .

– نعم ، لقد صحنونا من النوم مبكرا .

– هل ترغبان أن تأكلا حالا ؟

قلت : فى أى وقت ممكن . ماذا لديكم من أكل ؟

– ما تشتهييه نفساكما . ستحضر لكما الفتاة بطاقة الأكل .

أحضرت الفتاة ( المينوى ) . استيقظ جون . نظر الى البطاقة . لكن النوم كان ما يزال يغالبه .

قلت لصاحب النزل : أئن تشرب معنا كأسا ؟ فجلس ، ثم قال : هؤلاء الفلاحون أجلاف .

– رأينا ذلك الفلاح فى مراسيم جنازة أحضرت الى المدينة .

– تلك كانت زوجته .

– إذن كذا .

– إنه جلف . كل هؤلاء الفلاحين أجلاف .

– ماذا تقصد ؟

– لن تصدق ما أقول . لن تصدق محض ما وقع من ذلك الفلاح .

– قل لى .

– لن تصدق .

ثم هتف صاحب النزل بـ « الفندلفت » : يا فرانتس ، تفضل بالمجئ الى هنا . فقدم « الفندلفت » محضرا معه زجاجة نبيذة الصغيرة وكأسه .

قال صاحب النزل : هذان السيدان نازلان توا من « القيسباندير هويتا »  
( منتجع التزلج فى الجبال ) ، وتصافحنا .

سألته : ماذا تقدم لك من الشراب ؟

هز فرانتس إصبعه : لا شىء .

- ربع ليتر آخر ؟

- لا مانع .

سألنى صاحب النزل : هل تفهم لهجة المنطقة ؟

- لا .

وسأل جون : عم كل الحديث ؟

- سيحدثنا عن الفلاح الذى رأيناه يرد الشراب فى القبر ، ونحن آتون الى  
المدينة .

فقال جون : لا أقدر أفهم ما يقال ، على أية حال ، لأن الحديث يجرى بأسرع  
مما أستطيع متابعته .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال صاحب النزل : ذلك الفلاح ، اليوم أحضر زوجته ليقبرها ، وقد ماتت  
فى نوفمبر المنصرم .

قال « القندلفت » : بل ديسمبر .

- لا فرق فى ذلك . لنقل ماتت فى ديسمبر المنصرم اذن ، وقد أعام ادارة  
المنطقة بذلك .

قال « القندلفت » : ماتت فى الثامن عشر من ديسمبر .

- على أية حال ، لم يستطع إحضارها لتقبر الا بعد أن ذاب الثلج .

قال « القندلفت » : إن الزوج يقيم فى الناحية الاخرى من « البازناون » ،  
إلا أنه من رعايا هذه المنطقة الادارية .

فتساءلت : ألم يكن بوسعه إحضارها الى هنا البته ؟

- لا .. يستطيع المجيء فقط ، من حيث يقيم ، على زلاجة بعد أن يذوب الثلج . وهكذا أحضرها لكى تقبر ، وعندما شهد القس وجهها اليوم : لم يشأ أن يقبرها . ثم أردف صاحب النزل قائلا « للفندلفت » : رح وأفش هذا الخبر . تحدث بالالمانية وليس باللهجة المنطقة .

قال « الفندلفت » : كان موقف القس حرجا جدا . نص تقرير إدارة المنطقة أنها ماتت من نوبة قلبية . كنا نعرف هنا أنها مريضة قلب . كان يغمى عليها فى الكنيسة أحيانا . وقد انقطعت عن التردد على الكنيسة منذ وقت طويل . كان الصعود يتعسر عليها . عندما كشف القس عن وجهها ، سأل أولتس : هل عانت زوجتك كثيرا عند موتها ؟ فقال أولتس : لا . عندما عدت الى البيت وجدتها ميتة عبر السرير .

وأعاد القس النظر اليها مرة أخرى . لم يعجبه منظر وجهها .  
- كيف تشوه وجهها هكذا ؟

« قال أولتس : لست أعرف .  
قال له القس : خير لك أن تتبين ذلك . ثم أعاد ستر وجهها بدثار الصوف . لم يتفوه أولتس بكلمة ، لكنه بعد لآى التفت الى القس قائلا : هل تريد أن تعرف ؟

فقال القس : يجب أن أعرف .

فهتف صاحب النزل قائلا : هنا تكمن المفاجأة المثيرة . أصغينا اليه . واصل يا فرانتس .

- « قال أولتس ، حسنا ، عندما توفيت قدمت بلاغا الى ادارة المنطقة ثم وضعتها فى العريشة فوق جذع شجرة كبير . وعندما عن لى استعمال الجذع الكبير كانت قد قست وتصلبت فأوقفتها مسنودة الى الجدار . كان فمها مغمورا وعندما كنت أجيء الى العريشة ليلا لقطع جذع الشجرة الكبير ، كنت أعلق الفانوس من فك زوجتى . »

- « فسأله القس : ولماذا فعلت ذلك ؟



فقال أولتس : لا أعرف .

هل فعلت ذلك مرارا عديدة ؟

كل مرة دخلت فيها للعمل فى العريشة ليلا .

– « فقال القس : كان عملا خاطئا جدا . هل كنت تحب زوجتك ؟

فقال أولتس : يا ( نعم ) ، كنت أحبها . لقد أحببتها حبا جما .

فانبرى صاحب النزل يسألنى : هل فهمت كل ما قيل ؟ هل فهمت كل ما قيل عن زوجة الفلاح ؟

– لقد استمعت اليه .

وسأل جون : ما رأيك بأن نأكل ؟

قلت : أطلب الاكل . ثم ساءلت صاحب النزل : هل تعتقد بصدق ما قيل ؟

قال : حقا إنه الصدق . هؤلاء الفلاحون أجلاف .

– واين ذهب الآن ؟  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– ذهب لمواصلة الشراب فى نزل زميلي ، اللوثين .

قال « القندلفت » : لم تعجبه مشاربتي .

قال صاحب النزل : لم يعجبه أن يشرب مع « القندلفت » لمعرفته بقصة زوجته .

وقال جون : ما رأيك بأن نأكل .

قلت : سمعا وطاعة .

تعريب :

عبد الله فاضل فارغ

## أمنية

دقت الساعة مؤذنه بالرابعة صباحا .. وأخذت نبوية تتقلب فى فراشها بعد أن بدأت أشعة الفجر تتسلل الى الشقة المتواضعة الطائفة على سطح احدى العمارات الشاهقة بحى محطة الرمل بالاسكندرية .. كانت تقيم فى هذه الشقة هى وزوجها الامباشى سعد وابنه الصغير جلال .. منذ عشرين عاما .. ولم يفكروا فى الرحيل عنها رغم انها تتكون من ثلاث حجرات صغيرة ... كان ايجار الشقة جنيهين اثنين فى الشهر وهذه نعمة من الله خاصة وأن ظروفهم ستتغير فى القريب العاجل بعد احالة زوجها الى التقاعد .

أخذت تقلب نظرها فى أرجاء الحجرة فلم تعثر لزوجها على أثر .. قامت منزعجة تبحث عنه فى الشقة .. وامام حجرة المائدة وقفت كالمذهولة .. كان زوجها يمسك المكواة بيده اليمنى ويضع الحلة الرسمية على المائدة ويعيد كيهها مرة ومرات .. ثم يتجسس الحلة بيده اليسرى .. وبعد ذلك فوجئت بمنظر غريب .. انكفا زوجها على المائدة واخذ يقبل الحلة الرسمية والشرايط الثلاث التى تزين ذراعه .. وفى غمرة انفعاله لم ينتبه لوجودها .. فغادرت مكانها فى هدوء وعادت الى سريرها ..

تظاهرت نبوية بالنوم .. لكنها هى أيضا كانت فى عينيها الدموع .. ان اليوم هو موعد تسليم الحلة الرسمية واخلاء طرف زوجها من العمل .. كانت تظنه سيكون سعيدا بهذه الراحة بعد عناء السنين فاذا به يبدو حزينا كسيف البال . ان دخل الاسرة سينخفض .. لكنه يستطيع ان يفتح محلا او كشكا لبيع السجائر والحلوى .. ويضع أمامه صندوق كوكا كولا .. ان ذلك سيكون أمرا مريحا لا شك وهى لا ترهقه بطلباتها يمر عام وعامان ولا تطلب فستانا جديدا ..

وتنهدت نبوية وهى تقول الامر لله .. وتظاهرت مرة ثانية بالاستغراق فى النوم .

بعد قليل عاد زوجها الى الحجرة وخطبها همسا فلم ترد عليه .. رفع صوته قليلا فلم ترد عليه أيضا كانت تريد أن يدخل في روعه أنها تشاهده في حجرة المائدة وهى فى ذلك الوقت المؤثر ..

عندما كانت الساعة السادسة صباحا وهو موعد استيقاظها كل صباح قامت من فراشها ووجدت زوجها يجلس فى الصالة وقالت له والابتسامة على شفثيها ..

- صباح الخير يا اومباشى .. سأعد لك الافطار بعد قليل

- صباح النور يا نبوية .. لكننى لن أصبح اومباشى بعد اليوم سأسلم الحلة الرسمية الثانية بعد الظهر .

وتجاهلت حديثه وتوجهت لاعداد طعام الافطار ..

وضعت له على المائدة كالعادة طبق الفول المدمس وبجانبه قطعة من الجبن الابيض وبيضتين مسلوقتين وكوبا من الشاي ..

وأزاح سعد البيض المسلوق جانبا برفق وقال .. هذا البيض سيكون غداؤنا ، ان شاء الله منذ اليوم يكفى الفول المدمس .. والشاي .. ونصف رغيف من الخبز .. يجب ان أرتب نفسى على الحياة الجديدة .

وتنهذ وهو يقول : المعاش سيكون أقل من الراتب .. سبعة جنيهات !! ليس ذلك فقط سأدفع ثمن المواصلات .. كل خطوة سأدفع لها ثمن تذكرة ترام .. أتوبيس .. لن أستطيع شراء الفاكهة بالتسعيرة كما كان يحدث فى الماضى .. كل شىء سيتغير ..

واغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول : اننى أشك فى أن أحدا سيرد على تحية الصباح بعد اليوم بواب العمارة الذى كان يمد يده كل صباح ليسلم على حضرة الاومباشى ويقول لى تفخيما : أهلا حضرة الصول .. سيجلس على كرسيه ويضع قدمه اليمنى على قدمه اليسرى ويصغر خده لى .. أنا أعرف الناس جيدا .. اليوم هو اليوم الاخير الذى يحترمنى فيه الناس .. سيحترموننى فى الذهاب فقط .. لكن لن يحترمنى أحد عند العودة .. هذه هى سنة الحياة .



وجلست نبوية قبالة وهي مبهوتة لا تعرف ماذا تقول .. أو ما ذا تفعل ..  
انها تريد أن تخفف عنه هذا الحزن العميق الذى يقتصره وهو ينهى حياته  
الوظيفية .. لكن ما باليد حيلة .. ان كل ما قاله حقيقة .. أكثر من ذلك أنها  
تعلم أن جيرانها فى الشقة المجاورة على السطح والذين كانوا يتملقونها من قبل  
من أجل خاطر زوجها الاومباشى سعد .. لن يحترموها بعد اليوم .. من يدري؟  
قد يخلقون لها المتاعب والمشاكل التى تحدث عادة بين جيران المنزل الواحد .

ولمح فى ذهنها خاطر .. استراحت له .. لماذا لا تذكره بما قاساه فى عمله  
وأيام المتاعب والمخاطر ..

اتكأت بذراعيها على المائدة وابتسمت قائلة :

- هل نسيت أيام الدورية التى كنت تعمل فيها حتى الفجر .. وكنت  
تحضر لى فى الصباح وأنت ترتجف ؟ هل نسيت اليوم الذى هاجمك فيه  
بعض مهربى المخدرات وكنت تفقد حياتك .. هل نسيت المأمور زكى حسن  
الذى كان يضطهد وطلب نقلك الى الصعيد ؟ هل نسيت كل ذلك ؟!  
يجب ان تكون اليوم مرحا سعيدا ستستريح من كل هذا العناء .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتوقعت نبوية أن تنفرج أسارير وجه زوجها وتعود اليه بشاشته التى  
كانت لا تفارقه طوال السنين الماضية .. لكنها فوجئت به مقطب الجبين يضع  
يده على جبهته .. ويسترسل .. أنا لم أنس شيئا من ذلك .. لكنها كانت أسعد  
أيام حياتى .. أيام الدورية فى الشتاء كانت قاسية .. لكنها ليتها دامت ..  
كنت أقف فى الشارع كالسلطان أحرس المنازل وأحلق فى الرائح والغادى ..  
يرهبني اللصوص ويحترمني الشرفاء .. ليتها دامت .. أنا أعرف كيف أتعامل  
مع المجرمين جيدا .. وأشار الى مسدسه .. هذا المسدس لم يخذلنى أبدا ..  
تقولين : المأمور زكى حسن كان يضطهدنى .. لكننى كنت أنا المخطيء .. كنت  
لا أحافظ على المواعيد .. ليت عملى مع المأمور زكى حسن دام .. واضطهدنى  
طوال العمر ..

وبدا وجه الاومباشى سعد يحتقن ، فرائه نبوية فخشيت عليه من أزمة  
صحية .. فأدارت . دفة الحديث : غدا سنكون ضيوفا عند أختى فى سيدى

بشر .. الهواء هناك عليل .. وجلال فى اجازة من المدرسة .. وقد نقضى هناك يومين أو ثلاثة .. لقد دعتنى أختى مرات .. وسنلبي الدعوة غدا .. ان زوجها المعلم رشدى رجل طيب ويحبك .. وربت على كتفه وهو يفتح باب الشقة قائلة : فى حفظ الله .. وصر الصياح كثيبا ملاما .. كانت تعصف برأس نبوية العواصف .. زوجها رجل كفء ونشيط .. ومخلص فى عمله .. لكن هذه هى أوامر الحكومة يجب ان يترك وظيفته فى سن معين .. ليعترك الفرصة لغيره .. وهكذا ..

كانت تتوقع أن يعود مبكرا .. ولكن الساعة تجاوزت الثالثة بعد الظهر ولم يعد .. هذا أمر طبيعى انه قد يعود راجلا ليوفر أجرة المواصلات ... لقد أخذ معه لفافة فيها بنطلون وقميص .. سيرتديها بعد أن يسلم حلتة الرسمية فى تمام الساعة الثانية ..

وعندما دقت الساعة مؤذنة الخامسة أحسبت بقلبها يعتصر .. ماذا حدث .. هل تترك المنزل وتنزل تبحث عنه .. هذا غير معقول .. من المحتمل أن يعود فى أى وقت ولا يجدها فيزداد ضيقه وبرمه بالحياة وبها أيضا .. انها يجب أن تنتظره .. حتى يحضر فى المساء ..

وبعد دقائق سمعت طرقا خفيفا على الباب .. عجبنا هل فقد منه مفتاح الشقة .. فتحت الباب ووجدت أمامها الامباشى فتحتى زميل زوجها .. كان يبدو أصفر الوجه ... سألته عن زوجها ..

فأجاب باقتصاب : بخير والحمد لله .. طلبت منه الدخول ليستريح قليلا وهى تتفرس فى وجهه وتسأل نفسها : ما معنى هذا الكلام «زوجها بخير» . وأخذت تهزه من كتفيه وهى تصيح : خبرنى .. أين سعد .. أين زوجى . وفى هدوء وفى عبارات منقطعة .. انه بخير والحمد لله .. إصابة بسيطة .. وفى المستشفى .. وقد جئت لاصحبك معى لزيارته ..

وأخذت نبوية تستعيد هذه العبارات .. مستشفى .. إصابة .. ما معنى هذا الكلام .. معنى هذا أن أمرا جللا قد حدث .. حادث خطير .. والا لعاد الى

منزله على التو .. حتى لو كان قد أصيب إصابة بسيطة .. لما منعه ذلك من العودة ..

وتركت الاومباشى فتحى يجلس الصلاة مع ابنها جلال .. ودلفت الى حجرة نومها .. حيث ارتدت ملابس الخروج على عجل ..

وأمام الباب كانت تقف سيارة شرطة صغيرة .. جلست هى والامباشى فتحى بجوار السائق الذى لم ينبس ببنت شفة .. يبدو انه كان يعرف كل شىء .. أما هى فلم تكن تعرف شيئاً على الاطلاق .. طوال الطريق الى المستشفى كان ذهنها نهبا للخواطر .. هل توفى زوجها وأرادوا أن يخففوا عنها الصدمة .. وكيف توفى .. هل هو حادث .. أم صراع مع اللصوص .. وهل يأتى صراع اللصوص والمجرمين هكذا فى الايام الاخيرة : بل فى الساعات الاخيرة من خدمته ليته لما ذهب الى العمل اليوم كان مصرحاً له باجازة أسبوعية لكنه لم يقيم بها .. كان حريصاً على البقاء فى عمله لآخر دقيقة .. لكن ما باليد حيلة .

ظل الاومباشى فتحى طوال الطريق صامتاً فلزمت هى بدورها الصمت وفوضت امرها الى الله ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأمام باب المستشفى .. نزل الاومباشى فتحى ونزلت معه .. وحمش فى أذنها لقد قاوم زوجك اليوم عصابة من المجرمين .. واستطاع التغلب عليهم .. وتأكدت أن حياته ليست فى خطر .. انه فى الدور الثالث الحجرة رقم 30 وسأصعد معك ..

وأمام الحجرة رقم 30 وقفت نبوية برهة وبجوارها فتحى . واقبلت عليهما احدى الممرضات وقالت انت زوجة الاومباشى سعد فيما أظن .. لقد نجحت العملية والحمد لله .. لكن آثار التخدير ما زالت تمنعه من الكلام .. يكفى فقط أن تلقى نظره عليه .. لكن اطمئنى .. وعندما همت بالدخول قالت لها الممرضة : دقيقة من فضلك .. ان سيادة اللواء وبعض كبار الضباط يزورونه الآن للاطمئنان عليه .. ومعهم الطبيب الذى أجرى العملية ..



وبعد قليل انفتح الباب خرج منه ضابط فارغ القامة يضع على عينيه نظارة سوداء ويضع على كتفه أشياء لم تفهمها .. كان فيما يبدو مقصا من الذهاب .. انها تسمع أن حضرة المأمور يضع على كتفه نسرا ونجمة لكن هذا المقص لم تسمع عنه من قبل يبدو أنه سيادة اللواء الذى تحدثت عنه الممرضة ..  
1

وقفت بعيدا احتراماً .. وشاهدت طبيبا يضع سماعة حول رقبته يتحدث مع حضرة الضابط فى صوت خفيض .. وخلفهما سار ثلاثة من الضباط الصغار .. وتناهت الى سمعها هذه العبارات .. اجتاز مرحلة الخطر .. أرجو زيادة العناية به .. الوزير مهتم به شخصيا أمر بترقيته ومدد مدة خدمته ثلاث سنوات ..

وفى هذه اللحظة أقبلت الممرضة ومعها لفافة .. وقالت لها .. هذه ملابسك وأوراقك احتفظى بها معك لا داعى لحفظها فى الامانات ..

وفتحت نبوية طرفا من اللفافة فأبصرت بداخلها الحلة الرسمية التى كان يرتديها زوجها فى الصباح ويجرى عيها المكواة ويقبلها عند الفجر .. وكانت تبدو بها آثار دماء فأغلقت اللفافة على الفور ..  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وامام الحجرة رقم 30 وقفت تقول لنفسها .. عجبا كانت أمنيته أن يحتفظ بالحلة الرسمية وها هى الحلة تعود الينا من جديد .. لكن ..

وقبل أن تسرح بها الخواطر شعرت بيد الممرضة تمتد لتدفع بها فى هدوء داخل الحجرة .

فوزى عبد القادر الميلاوى

# الفهرس

العدد الأول ( جانفى 1982 ) المجلد الرابع عشر

3	قصص	تصدير
5	عبد العزيز فاخ	يوم الصعود
11	بلقاسم البرهوى	بوكرش
16	على العربى	المريض رقم 7
22	نور الدين بن بلقاسم	مدينة التماثيل
28	سونيا يوسف كوكي	رجل
32	مصطفى مدائنى	وترتدين عني .. الى .. !
35	محمد الهادى بن صالح	قراءة فى رواية « على مرقص الأشباح » ..
42	يوسف سلامة	صفحات من كتاب قديم
51	زهير العلاف	المجنون
54	محمد عبد الكافى	الصراع
59	أحمد ممو	لقاء مع محمد الباردى
69	عبد الستار ناصر	المحامي
72	محمد الخهوسى الحناشى	حدى
84	تعريب عيسى فتوح	الغداء
90	تعريب عبد الله فاضل فارع	أنشودة غرام « البية »
98	فوزى عبد القادر الميلاى	أمنية

انتهى طبع هذه المجلة بمطبعة « الشركة التونسية لفنون الرسم »

فى شهر فيفرى 1982 - تحت عدد 82/6

الايداع القانونى - الثلاثة الأشهر الأولى - ل : 1982